

روائع الأدب العالمي للشاشيين

مُرفَعَات دَورِيْنَجْ

إميلى برونتي



مرتفعات وذرینج
امیلی برونتی

ترجمة: صبرى الفضل

مرتفعات و ذرينج





على سبيل التقديم . . .

مكتبة الأسرة ٩٧ رسالة إلى شباب مصر الواعد تقدم
صفحات متألفة من متعة الإبداع ونور المعرفة مصدر
القوة في عالم اليوم ..
صفحات تكشف عن ماضينا العريق وحاضرنا
الواعد وتستشرف مستقبلنا المشرق .

د. سمير سرحان

المؤلفة والكتاب

ولدت اميل برونتى فى ٣٠ يوليو عام ١٨١٨ فى عائلة موهوبة ، رقيقة الحال ، وهى اخت شارلوت برونتى التى كتبت « جين اير » .

كان أبوها إيرلنديا يعمل راعيا بالكنيسة الانجليزية فى هيوارث ، وهى منطقة منعزلة ، موحشة ، تقع بمقاطعة يوركشير ، التى ظل بها حتى وفاته .

تزوج من أمها عام ١٨١٢ . وقد توفيت عام ١٨٢٢ ، تاركة له أولادهما الستة : ماريا ، اليزابيث ، شارلوت ، باتريك برانويل ، اميل وآن . وجعله هذا الوضع المتفاقم بالفقر وسوء الحظ مكتئبا صامتا كالقبور المجاورة

لمنزلهم المنقبض بالحزن • فهامت الأطفال في البقاع ،
واخذوا يسلون أنفسهم بالكتابة •

وكان فلاحو هذه المنطقة في ذلك الوقت ، بعيدين
عن الحضارة ، غلاط القلوب ، عنيفين ، غير ودودين •
وانعكس حب اميل لهذا الجزء من البلاد بجماله الحسن
ومعرفتها بأناسه في « مرتفعات وذرينج » روايتها
الوحيدة ، التي ظهرت عام ١٨٤٧ فكانت كتابا فريدا
في نوعه ومازال •

ولقد روع القارئ بالعواطف المتأججة في مرتفعات
وذرينج ، لأنها عواطف متحررة من فساد الطبيعة
البشرية • • فالعاطفة هوى متأجج مهلك ، ولكنها مجردة
من أي تلوث مادي •

ويمكن القول بصفة عامة أن في كتب الأخوات
برونتي : شارلوت ، واميل وآن ، يتكلم اللسان من
خلال برامة القلب • وهن ككاتبات انجليزيات خلقن
شخصيات نابضة بالحياة ، وحولن الأفكار المستورة

لوحدهن الى عالم الشعر ، وانرن فى مسار الرواية
الانجليزية الحديثة .

ونظمت اميل ، ايضا ، قصائد ذات نوعية عالية ،
تدل على انها كانت أصيلة فى تفكيرها وفى شخصيتها
.. ولقد كتبت شارلوت عنها قائلة بأنها : « أقوى
من الرجال ، وأبسط من الأطفال ، وذات طبيعة
مستقلة » .

وتوفيت اميل عام ١٨٤٨ بمرض الرئة ، مثل
معظم اخواتها من قبلها .

- المترجم -

أحداث القصة

مرحلة ترتيباً زمنياً

١٧٥٧ : مولد هندي إيرنشو • تذهب والدته نيلي دين
إلى مرتفعات وذرينج كمرية ، مصطحبة
طفلتها معها

١٧٦٢ : مولد ادجار لنتون

١٧٦٥ : مولد كاترين إيرنشو

١٧٦٦ : مولد ايزابيللا لنتون

١٧٧١ : صيفا ، يحضر السيد إيرنشو الكبير ومعه
الطفل هيثكليف من ليفربول •

١٧٧٢ : ربيعا ، تموت السيدة إيرنشو الكبيرة •

١٧٧٤ : يلتحق هندي بالكلية •

١٧٧٧ : أكتوبر ، يموت السيد ايرنشو الكبير • ويأتي

هندل الى البيت مع زوجته فرانسيس •

أواخر نوفمبر ، مغامرة كاترين التمسعة في

مزرعة تراش كروس •

• الكريستماس ، يوم عيد الميلاد ، تعود

كاترين للبيت • اذلال هيشكيلف •

١٧٧٨ : يونيو ، مولد هيرتون ايرنشو ، ابن هندل

وفرانسيس •

١٧٨٠ : صيفا ، تعد كاترين بالزواج من ادجار لتون ،

ويختفى هيشكيلف •

• أول مرض لكاترين •

• وفاة السيد والسيدة لتون •

١٧٨٣ : مارس ، يتزوج ادجار من كاترين • وتذهب

الين دين (نيللي) الى مزرعة تراش كروس

مع سيدها •

• سبتمبر ، هيشكيلف يعود •

١٧٨٤ : يناير ، مشاجرة بين ادجار وكاترين
وهيشكيليف •

يفر هيشكيليف مع ايزابيلا ، ويتزوجها •

ثاني مرض لكاترين •

مارس ، عودة هيشكيليف وايزابيلا . هيشكيليف
يزور كاترين •

٢٠ مارس ، وفاة كاترين ومولدها ابنتها
كاترين •

٢٥ مارس ، دفن كاترين • وهيشكيليف يزور
القبر •

٢٦ مارس ، ايزابيلا تهرب •

سبتمبر ، وفاة هندي ، ويستحوز هيشكيليف
على مرتفعات وذرینج •

أكتوبر ، مولد لنتسون ابن هيشكيليف
وايزابيلا •

١٧٩٧ : وفاة ايزابيلا

قيام كاتى بأول زيارة لمرتفعات وذرينج •
ادجار لنتون يحضر لنتون هيشكليف ، الذى
يطالب به أبوه

١٨٠٠ : ٢٠ مارس ، زيارة كاتى الثانية للمرتفعات •

تبادل الرسائل بين كاتى ولنتون هيشكليف
فى الحريف ، يصاب ادجار لنتون بالبرد
ويعرض •

أكتوبر ، زيارة كاتى الثالثة للمرتفعات
الأسابيع الثلاثة التالية ، تزور كاتى المرتفعات
سرا •

١٨٠١ : أغسطس ، تقابل كاتى ابن عمها لنتون فى
البقاع •

يحصل هيشكليف على كاتى فى المرتفعات
وتتزوج من لنتون •

سبتمبر ، وفاة ادجار لنتون. يزور هيشكليف
قبر كاترين مرة ثانية • ويصبح لنتون

هيشكلييف ، كوريث ، مالكا لمزرعة تراش
كروس ولاراضى خاله ولاله .

اكتوبر ، وفاة لنتون هيشكلييف ، تؤول
ممتلكات لنتون الى ابيه هيشكلييف .

نوفمبر ، يؤجر هيشكلييف مزرعة تراش كروس
للسيد لوكوود لمدة سنة ، يقوم السيد
لوكوود بزيارة المرتفعات ويصبح مريضا .

١٨٠٢ : يناير ، يغادر السيد لوكوود مزرعة كروس
متوجها الى لنفن .

تعود السيدة دين الى مرتفعات وذرينج .

الاثنين عيد الفصح ، كانى وهيرتون يصبحان
صديقين .

ابريل ، وفاة هيشكلييف .

سبتمبر ، يزور السيد لوكوود مزرعة تراش
كروس ، ومرتفعات وذرينج مرة ثانية .

١٨٠٣ : اول يناير ، يتزوج هيرتون ايرنشو من كانى .

عائلة غربية

(نوفمبر ١٨٠٩)

يرونها السيد لوكود ، مستجر مزرعة تراش كروس

الفصل الأول

ترحيب جاف

عدت لتسوى من زيارة لصاحب المزرعة التي
استأجرتها ، والذي سيكون جاري الأوحده لمسافة أميال
عديدة . ولا اعتقد ، اننى كنت أستطيع فى انجلترا
كلها ، ان يقع اختياري على منزل ريفى أكثر بعدا عن
المجتمع من مزرعة تراش كروس .

والسيد هيثكليف وأنا قرينين مناسبين فى
مشاركة هذه العزلة . وعندما وصلت على جوادى اليه ،

حملت عيناه السوداوان فى بريبة من تحت جبهته
السمرء •

فللت :

- السيد هيثكليف ١٩

فاوما براسه •

- انا السيد لوكوود مستاجر الجديء لمزرعة
تروش كروس يا سيدى • لقد قمت بشرف زيارتكم
بعد وصولى مباشرة •

- ادخل ا

تكلم واسنانه مطبقة واستمر مستندا على
البوابة • وعندما رأى حصانى يضبط بصدرة عليها ،
رفع يده ليفك سلسلتها ، ثم سار أمامى على الممر
الحجرى مناديا ونحن داخلين الى الساحة :

- جوزيف ، خذ حصان السيد لوكوود ، واحضر
بعض النبيذ ! •

فكرت :

— لابد أنه لا يوجد الا خادم واحد ، ولا عجب فان
المشرب ينمو بين الأحجار ، ويبدو أن الماشية هي
الوحيدة التي تقوم بتقطيع سياج الأعشاب .

ويبدو جوزيف رجلا عجوزا سيء الطبع . وهمهم
وهو يأخذ حصاني بصوت مستاء :

— ربنا يساعدنا !

ومرتفعات وذرينج هو اسم منزل السيد هيثكليف.
وكلمة « وذرينج » لفظة محلية تصف تهور الطقس في
هذا الجزء المنعزل من يوركشير في وقت العاصفة .
ويمكن للإنسان أن يحزر قوة ربح الشمال وهي تهب من
فوق جانب التل ممارة بالأشجار القليلة النامية بشكل
فقير عند نهاية المنزل. وبجانب صف من الشجيرات ذات
الشوك التي تمتد جميع فروءها في اتجاه واحد وكأنها
تسول دفء الشمس .

والمنزل مبني بشكل متين . والنوافذ الضيقة

غاثة في الجدار بشكل عميق ، والأركان مدعمة بحجارة كبيرة من الخارج .

وقبل أن أدخل توقفت معجبا ببعض الحليات والزخارف الحجرية الغريبة فوق الواجهة ، والتي رايت من فوقها التاريخ و عام ١٥٠٠ ، واسم هيرتون ايرنشو ، . وكنت سأستفسر عن بعض التفاصيل الخاصة بالمكان الا أن المالك كان نافذ الصبر .

وأوصلتنا خطوة واحدة الى غرفة جلوس العائلة ، التي يوجد على طرف واحد من جدارها صف وراء صف من الأطباق المعدنية الضخمة ، تملؤها أواني فضية وكثوس للشراب تصل حتى الذروة . ولم يكن هناك سقف . . وكانت هناك فوق المدفأة العديد من البنادق ذات مظهر شرير .

وكانت الأرضية من حجر أبيض أملس . أما الكراسي فذات مساند عالية مطلية باللون الأخضر . وترقد في الركن كلبة ضخمة مع صفارها ، وتلازم كلاب أخرى الأركان الأخرى .

ولا تعتبر الحجرة ولا الأثاث شيئا غير عادي اذا كانت تخص مزارعا بسيطا من مزارعي يوركشير .
 أما السيد هيثكليف فكان يبدو غريبا عن بيته وغريبا في طريقة معيشته . انه عجزي أسمر البشرة في مظهره ، ولكنه جنتلمان في سلوكه وملبسه : أقصد كأي جنتلمان من أصحاب الأراضى الريفية . . ربما يهمل في ملبسه نوعا ما ، الا أنه حسن المظهر ، أما التعبير المرسوم على وجهه فهو قاسى وعابس بعض الشيء .

واتخلت لى مقعدا بجوار المدفأة ، وقضيت دقائق قليلة من هذا السكون في مداعبة الكلبة الأم لكسب ودها .

فقال هيثكليف بغشونة وهو يدفع الحيوان بقدمه
 بعيدا بعد أن كشرت لى عن أسنانها كلها :
 - من الأفضل أن تتركها في حالها .
 ثم عبر الى باب جانبي وصرخ لانية :
 - جوزيف !

همهم جوزيف فى الغرفة السفلية ، لكنه لم يحضر لذلك نزل سيده للبحث عنه ، وتركنى وجها لوجه مع الكلبة الام ، وزوج من كلاب الرعى الذين كانوا يراقبون كل تحركاتى . فجلست ساكنا ، لكنى لم استطع اخفاء عدم استلطافى للحيوانات ، وفى الحال وثبت على ركبتى اكبرها ، فالتقيت بها بعيدا ووضعت المنضدة بيننا . فاثار ذلك الثلاثة كلهم . وظهر آخرون وانضموا للفريق . واصبحت محاصرا من جميع الجهات ، وما كان على الا أن أصرخ فى طلب النجدة .

كان السيد هيثكليف ورجاله بطيئين فى الاجابة . ولحسن الحظ اندفعت لانتقاذى سيده ضحمة قوية من المطبخ بذراعين عاريتين وخدين حمراوين من اثر الطهى ، وفضت الهجوم بسقلا كبيرة . ودخل هيثكليف بعدها بقليل .

فَسأل :

— ما هو الموضوع بحق الشيطان ؟

فأعطيته رأى فى كلابه .

فلعل وهو يضع بزجاجة أمامي ، ويميد النضمة
الى موضعها قائلا :

- انهم لا يتدخلون فيمن لا يلمس شيئا .
فالكلاب يجب أن تكون منتبهة . خذ كامرا من النبيلة !
- كلا ، شكرا .

- هل عضوك ؟ لا أظن ..

- اذا كان حدث ذلك ، لكنت تركت أثرا على
الماضي .

فضحك هيثكليف وقال :

- تعال ، تعال ، لقد عكروا صفوك يا سيد
لوكروود . هاك ، خذ قليلا من النبيلة . فالغصيف
تأدرون في هذا البيت ، وأعترف بانني وكلابي لا نكاد
نعرف كيف نستقبلهم . في صحتك يا سيدي !

فانحنيت ، وبدأت أرى أنه من الحق أن أتضايق
من كلاب سيئة التصرف ، شاعرا أيضا بعدم الرغبة
في إعطاء مضيقي متعة أكبر بقلدان أصابعي .

ومن المحتمل أنه أدرك حماقة الاساءة لمستاجر
جيد مثل . وبدأ يتحدث بأدب أكثر ، وفي موضوع
يعتقد أنه يهمني . ووجدته ذكيا جدا وقبل مغادرتي
كنت على استعداد أن أعرض عليه أن أقوم بزيارة أخرى
غدا . ولم يبد الرغبة في الاستمرار في رفقتي ، ولكنني
سوف أذهب اليه ثانية رغم ذلك ..

العمل الثاني

الترحيب لايزال اقل

كان الجو بعد ظهر الامس غائما باردا ، لذلك قررت ان اقضيه بجوار مدفأة غرفة الجلوس . ولكن بعد انتهائي من المشاء وجدت الخادم لازال يحاول اشعالها . فاخذت قبعتي ، وبعد مسيرة اربعة أميال وصلت الى بوابة حديقة هيثكليف تماما في الوقت الذي هربت فيه من سقوط بواندر وابل الثلج الذي يسدو كالريش الخفيف .

كانت الأرض على قمة التل هذه باردة شديدة التجمد ، فجعلني الهواء أنتفض مرتعدا ، وطرقت الباب الأمامي دون طائل ، وبدأت الكلاب في ضجتها .

وطرقت مرة ثانية ، فظهرت رأس جوزيف غير
الودود من نافذة مستديرة للسخرن • وصاح قائلاً :
- ماذا تريد ؟ السيد موجود تحت بالمزرعة •

فصحت قائلاً :

- ألا يوجد أحد ليفتح الباب ؟
- توجد السيدة فقط ، وهي لن تفتح إذا ظلمت
تصبح حتى آخر الليل •
- لماذا ؟ ألا تستطيع أن تخبرها من أنا ؟
- ليس هذا شأني !
واختفت رأسه •

بدأ الثلج يتساقط بكثافة ، وكنت على وشك
أن أطرق الباب للمرة الثالثة ، عندما قدم فتى بدون
معطف ويحمل مجرافاً من الساحة الخلفية • فنادى على
أن أتبعه • وبعد سيرنا عبر محل الفسيل وساحة
تحتوى على مستودع للفحم ، ومضخة ، وبرج حمام ،
وصلنا فى النهاية الى الغرفة الضخمة الدافئة المبهجة
التي استقبلونى فيها من قبل •

كانت نارا هائلة تشتعل في المدفأة ، وبالقرب من
المائدة المعدة لوجبة عشاء متنوعة ، فرأيت « السيدة »
فانحنيت وانتظرت ، معتقدا أنها ستطلب مني الجلوس .
ولكنها نظرت الى متكئة على مسند كرسيها وظلت
صامتة بلا حراك . فعلمت قائلا :

— انه طقس قاس ، لقد جاهدت يا مسز هيثكليف
لأجعل خادمك يسمعني .

ولم تنبس ببنت شفة ولكنها احتفظت بعينيها على
بطريقة باردة وسمجة جدا . وقال الفتى بغشونة :

— اجلس ، انه سيأتى حالا .

فأطعته . ثم جاء أحد الكلاب بطريقة أكثر ودا عن
المرّة الأولى . فاسترسلت قائلا :

— حيوان جميل ، هل تنوين الاحتفاظ بالصغار
يا مسز هيثكليف ؟

فكانت المصيفة بولاحة أكثر من هيثكليف نفسه :

— انها .. لا تخصني !

فكررت ملاحظتي عن هياج الطقس ، فقالت
السيدة وهي تنهض لتتناول علبتى شاي ملونتين من
الرف الذى يعلو المدفأة :

- كان يجب عليك ألا تخرج !

كان مكانها يحجبها عن الضوء ، أما الآن فيمكننى
رؤية كل وجهها وقوامها بوضوح . كانت تبدو أكبر
قليلا من فتاة ، ذات قوام على أحسن ما يكون ، وارق
وجه صغير كان لدى المتعة في رؤيته على الإطلاق .

كانت علبتا الشاي بعيدتين عن متناول يديها
تقريبا ، فقامت بالتحرك لمساعدتها ، فالتفتت نحوى
وقالت بجدية :

- لا أريد مساعدتك !

فأسرعت طالبا عفوها ، وسألت وهي تقف
ممسكة بمعلقة مهلوة بالشاي فوق الابريق :

- هل دعيت على الشاي ؟

فقلت مبتسما :

- كلا ، انك الشخص المناسب لدعوتى .

فألقت بالشئ مكانه وبالمعلقة وبكل شئ ثم عادت
الى كرسيها . وتدلت شفتها السفلى كطفل على وشك
البكاء .

ارتدى الفتى ، فى هذه الأثناء ، سترة كالجاكيت ،
ووقف أمام المدفأة . وكان ينظر الى بشراسة ، وبدأت
أشك فى أن يكون خادما . فملابسه خشنة وكذلك
حديثه ، وشعره غير مقصوص ويدها داكنتين كيدي فلاح
أجير ، الا أن سلوكه المتحرر يجعله يبدو متفطرسا .
كما أنه لم يبد أى علامة على خدمة سيده المنزل .

وبعد خمس دقائق أخرى وصل هيثكليف .
فقال وهو يغطي الثلج الأبيض الناعم من على ملابسه :

- اعجب لخروجك فى هذه العاصفة الثلجية
الكثيفة . ألا تدري أنك من الممكن أن تضل الطريق ؟
حتى الناس الذين يالفون هذه البقاع كثيرا ما يضلون
طريقهم فى ليلة كهذه !

- ربما أمكننى الحصول على دليل من بين خدمك ؟
هل يمكنك الاستغناء عن أحدهم لإرشدى الى الطريق ؟

- كلا ، لا أندر .

فسال الفتى ناظرا للسيدة :

- هل ستقومين بعمل الشاي ؟

فسالت ملتفتة الى هيثكليف :

- هل سيتناول الشاي ؟

فاجابها بشراسة أثار انتعاشي :

- جهيزيه ، ممكن ؟

وعندما انتهى تجهيزه ، دعاني قائلا :

- والآن يا سيدى ، تقدم بكرسيك !

والتفطنا جميعنا حول المائدة وبدأت الوجبة بدون

مزيج من الحديث .

الفصل الثالث

لا مكان للزوار

بدأ لي من المستحيل أن يجلسوا كل يوم في عداة
هكذا صامتين ، ففكرت اذا كنت قد تسببت في تعكير
الجو فمن واجبي أن أصفيه • وأسرعته قاتلا :

— كثيرون لا يتخيلون المعيشة في سعادة بعيدا
هكذا عن المجتمع ، ولكنك يا سيد هيثكليف مع زوجتك
واسرتك ••

— ان زوجتي ليست على قيد الحياة يا سيدى !
فادركت اننى اقترفت خطأ ، ونظرت الى الفتى •

والقى هيثكليف بنظرة حقد غريبة تجاه مسز هيثكليف
وهو يتكلم :

— مسز هيثكليف هي زوجة ابني ا

— وهذا الشاب . .

— انه ليس بابني . ابني مات .

فاحمر وجه الشاب وقال في خشونة :

— اسمي هيرتون ايرنشر ، وانصحك أن تحترمه ا

وثبت عينيه على بطريقة تهديدية . وبدأت أشعر
بأنني متطفل على هذا المكان وسط هذه الأسرة الغريبة ،
وصمتت على أن أكون حذرا بالمجازفة بالخطور تحت
سقفهم مرة ثالثة .

وعندما انتهى موضوع الأكل ، اقتربت من
النافذة . كان الليل قادمًا بحلته والحركة الوحشية
الملتوية للرياح والتلوج تحجب السماء والتلال من
الرؤية . فقلت :

- لا اعتقد أنني أستطيع الوصول الى البيت حاليا بدون دليل !

ولال هيثكليف ناعضا :

- هيرتون ، ادخل الأغنام الباقية في الحظيرة
والا سيردها الثلج اذا تركناها في الخارج طوال الليل !

فاستأنفت الحديث قائلا :

- ماذا يجب علي أن أفعل ؟

ولم أحصل على جواب ، وعندما نظرت من حولي
رايت جوزيف فقط وهو يجلب طمام الكلاب ومسز
هيثكليف تميل فوق المدفأة • فقللت بشكل جاد :

- مسز هيثكليف ، أرجو أن تطيريني لازعاجك •
دليني اذا سمحت على بعض العلامات المميزة التي عن
طريقها أعرف طريقى للبيت •

فأالت وهي تجلس على كرسى مع كتاب وشمعة :

- اسلك الطريق الذى اتيت منه ، لا أستطيع أن أدلك على الطريق فلن يسمحوا لى بالسير بعد سور الحديقة .

- ألا يوجد عمال بالمرزعة ١٩٠٠

- كلا ، لا يوجد الا هيثكليف وايرنشو وزيللا وجوزيف وأنا .

فصاح صوت هيثكليف من المطبخ :

- آمل أن يكون هذا درسا لك بالأا تقوم بمزيد من الرحلات الحمقاء على هذه التلال . أما بخصوص البقاء هنا فانا لا احتفظ بغرف للزوار ، فيجب أن تقسم السرير مع هيرتون أو جوزيف .

- أستطيع النوم على كرسى فى هذه الحجرة .

- كلا ! فالغريب لغريب سواء كان غنيا أم فقيرا . فلا يلائمنى أن يترك أحد هائما فى هذا المكان بدون حراسة .

وبهذه الاهانة نفذ صبرى ، فاندفعت خارجا الى

الساحة التي كانت مظلمة لدرجة لم أستطع رؤية طريقى
الى الخارج .

وكان جوزيف يحلب الأبقار على ضوء مصباح ،
فأمسكت به قائلا باننى سأعيده فى اليوم التالى
واندفعت الى اقرب بوابة فصرخ الرجل العجوز ؛

- سيدى ، سيدى ، انه يسرق المصباح . الحقوه
يا كلاب ، الحقوه !

قفز كلبان كثيفا الشعر على رقبتى وطرحانى
ارضا فانطلقا نور المصباح ، بينما ازداد غضبى وامتهانى
بسبب ضحكات هيثكليف وهيرتون الوقحة ، وظللت
ملقيا على الأرض رغما عنى هناك ، حتى صرخوا على
الكلاب بالابتعاد .

تسبب عنف غضبى فى نزيف من أنفى . واستمر
هيثكليف فى الضحك ، واستمرت فى التسويخ .
وجأت أخيرا زيللا الخادمة الضخمة لترى ما يحدث .

- هل سنقتل الناس على عتبة بابنا ! انظروا الى

الشباب المسكين ! انه يتنفس بصعوبة ! ادخل وساعالج.
ذلك .

ومع هذه الكلمات ألفت على رقبتي فجأة ببعض
الماء الثلج ، وسحبته الى المطبخ .

وشعرت بالاعياء والاعماء . وابلغ هيثكليف زيللا
أن تعطيني كوبا من شىء قوى لأشربه ، ويبدو اننى
تحسنت قليلا بعده . ثم تركتها ، بعد ذلك ، تقودنى
الى الفراش !

الفصل الرابع

ليلة مزعجة

نصحتنى زيللا ، ونحن نصعد السلم ، بالا أقوم
بأية ضجة ، حيث أن السيد لديه فكرة غريبة عن الغرفة
التي تأخذنى إليها ، ولا يسمح لأحد مطلقا أن ينام فيها.
فأحكمت إغلاق بابى ونظرت حولى . وكان كل
الأثاث عبارة عن كرسى وصندوق طويل للملابس ،
وخزانة خشبية كبيرة لها فتحات مربعة فى أعلاها
تشبه نوافذ العربية . ونظرت فى داخل قطعة الأثاث
هذه فوجدتها عبارة عن سرير غريب قديم مكونا حيزا
خاصا به ملاصقا للنافذة ، ويستخدم الطرف المريض
منه كمضخة .

وكان على الرف الذى وضعت عليه شمعتى بعض الكتب القديمة مكومة فى أحد الأركان المغطاة بكتابات مخدوشة على الطلاء . وكانت هذه الكتابة عبارة عن اسم مكرر مرات عديدة وهو « كاترين ايرنشو » ، ويتبدل أحيانا الى « كاترين هينكليف » ، ثم مرة أخرى الى « كاترين لنتون » .

استندت براسى على النافذة وواصلت قراءة الأسماء حتى غفوت ، ولم أسترح سوى خمس دقائق حتى اكتشفت أن شمعتى قد وقعت على أحد الكتب وأخذت أشم رائحة احتراق ، فاعتدلت وتفحصت الكتاب . كان اسم « كاترين ايرنشو » على الصفحة الأولى ، وتحت تاريخ يرجع الى حوالى ربع قرن مضى . فأغلقتها وأخذت بكتاب آخر ، وآخر حتى تفحصتهم جميعهم .

لقد استخدمت الكتب استخداما حسنا ولكن فى غير الغرض المعتاد ، فكل فراغ كان مملوءا بكتابات صيبانية ، بعض منها على هيئة مذكرات يومية لما يحدث

وتعجبت أن أجد في أعلى إحدى الصفحات الإضافية رسماً
ممتازاً لجوزيف ، فشعرت باهتمام فوري نحو كاترين
المجهولة . وبدأت في الحال قراءة الكلمات المطبوعة :
يوم أحد مزعج . . آه لو كان أبي حياً . . ان
هندل كره . . ان معاملته لهيشكليف مخجلة .

ان المطر ينهمر طوال النهار . . لم نستطع الذهاب
الى الكنيسة . وبينما يجلس هندل وزوجته في الطابق
السفل بجانب المدفأة المربعة ، كنا مأمورين أن نأخذ
كتب صلاتنا ونصعد الى أعلى المنزل لنستمع الى جوزيف
مصلياً وواعظاً . بقينا هناك ثلاث ساعات ، ومع ذلك
قال اخي اننا نزلنا بسرعة وقال :

- تذكروا ان لكم سيدي هنا ، وسأقتل اول من
يزعج مزاجي . اوه ، يا ولد ؟ هل هذا انت ؟ . .
فرانسيس شدي من شعره اثنا مرورك .

ونفذت فرانسيس ذلك ، ثم ذهبت وجلست مع
زوجها . وكانا كطالين يتحدثان كلاماً فارغاً . واختبانا
في أحد الأركان ولكن جوزيف طردنا في الحال وقال باننا

اشرار لاننا نلعب في يوم الأحد . . وجئت قارودة حبر
فكتبت في هذا الكتاب لمدة عشرين دقيقة ، ولكن رفيقي
نالد الصبر ويقترح أن نتدثر جيدا ونذهب لتركض في
البقاع . ولن نبرد ولا نبتل تحت المطر اكثر مما نحن
فيه هنا .

اعتقد أنهم فعلوا ذلك ، حيث ان الجلسة التالية
تناولت موضوعا آخر هو : . . لم أكن اعتقد أن هندل
يتسبب في بكتائي هكذا ! فرأى تولني ، حتى انني
لا استطيع ان اضعها طويلا على الوسادة ! مسكين
هيشكيليف ! يدعو هندل الفجرى ، ويمنعه من الجلوس
معنا ، وامره بالا ياكل معنا بعد ذلك . ويقول اخي
بانني لا يجب ان ألعب مع هيشكيليف وعدد بطرده من
المنزل اذا عصي اوامره . واخذ يلوم والدنا لمعاملته
الرحيمة لهيشكيليف ، واخذ يقسم بأن يضمه في مكانه
المناسب

بدأت راسي تنكفيء على الصفحة الباهتة ونصت
في السرير على الفور ونست .

ولا أدري لماذا قضيت ليلة مزعجة ؟ أوه ، هل
من أثر الشأى السوء وتعكر مزاجي ؟

وأخذت أرى حلما مزعجا وراء حلم مزعج آخر ..
كان جوزيف يدلنى على البيت ولكنه قادنى بدلا من
ذلك للكنيسة التى مررت عليها فى طريقى الى المرتفعات
.. وكان حديث الواعظ منقسما الى أربعمائة وتسعين
جزءا . وأصبحت مرهقا وقلقا : بدأت رأسى تتمايل .
وفى صوت كالرعد نادى على جميع المستمعين له بأن
يعاقبوني بسبب فجورى . فاندفع نحوى كل المتعبدين
بعضيهم المرفوعة ، وأنا مجرد من أى سلاح ، وبدأت
اتصارع مع أقرب مهاجم لى ، جوزيف . وامتلات
الكنيسة بصوت الضربات ...

وأخذ صوت الضربات يرتفع حتى استيقظت ..
ما الذى سبب الضجة ؟ مجرد فرع شجرة لمس
نافذتى .

فتقلبت فى السرير ، ثم نمت ثانية . وتذكرت
فى هذه المرة أين كنت راقدا ، وسمعت صوت الريح

ونقرات فرع الشجرة على النافذة .. وأزعجني جدا هذا
الصوت لدرجة أنني صممت على أن أسكته . فنهضت
وحاولت فتح النافذة ولكن بدون جدوى .

وزمجرت قائلا وأنا اكسر الزجاج بيدي وأمدتها
خارجا لأمسك بالفرع المزعج .

يجب أن أوقفه ، رغم ذلك !

وعوضا عن ذلك قبضت أصابعي على أصابع يد
صغيرة باردة كالثلج !

انتابني رعب مهول : وحاولت أن أسترجع يدي
ولكن اليد أمسكت بها ، وسمعت صوتا حزيناً :

- دعني أدخل ! دعني أدخل !

فسألت وأنا اصارع في تحرير نفسي :

- من أنت ؟!

فاجاب الصوت متلفاً :

- « كاترين لنتون » .. لقد عدت للبيت . لقد

ضيعت طريقي في البقيع . (لماذا فكرت في «لنتون» ؟

• ولقد قرأت • إيرنشو • عشرين مرة بالمقارنة مع
• لنتون •) • وشاهدت أثناء ذلك فى شحوب ، وجه
طفلة تنظر عبر النافذة •

وجأت الصرخة مرة أخرى ، بينما اليد مستمرة
فى الإمساك بيدي التى خبلتنى فزعاً :

– دعنى أدخل !

لقلت أخيراً :

– كيف لى ؟ اتركينى اذا أردت أن ادخلك !

تراخت الأصابع ، فسحبت يدي بسرعة من خلال
الفتحة المكسورة ، وكومت الكتب قبالتها وسددت أذنى
حتى لا أسمع أى صوت ••

ويبدو أننى ظننت هكذا مايزيد عن ربع ساعة ،
ومع ذلك فعند لحظة انصائى ثانية تكررت الصرخة
الحزينة • وجعلنى الخوف قاسياً • فصرخت :

– ابعدى ! لن أدعك تدخلين مطلقاً ، حتى لو
توصلت لمدة عشرين سنة !

فقال الصوت :

• - انها عشرون سنة • عشرون سنة ! اننى اقيم
من عشرين سنة !! •

وبدا النباش بالأطافير من الخارج وتحركت كومة
الكتب وكأنها تندفع الى الامام • فحاولت ان افزع
ناعضا ، ولكنى لم استطع الحركة ، وهكذا صرخت
بصوت عال فى فزع !

الفصل الخامس

سلوك مضيئ الغريب

اقتربت خطوات متلهفة من بابي . وفتحته شخص
ما بيد عنيفة ثم ظهر نور فاستيقظت وجلست مرتعدا .
وقال صوت في شبه همس مبدئا علم توقعه
للإجابة :

— هل يوجد أحد هنا ؟

فحركت أبواب الحزانة ، ولن أنس اثر ما انتجه
ذلك . كان هينكليف واقفا بالقرب من المدخل ، مرتديا
قميصه وبنطلونه ، وممسكا بشمعة في يده ووجهه
أبيض في لون الحائط الذي خلفه ، واثرت حركتي

الأولى فيه كصدمة كهربائية • فسقطت الشمعة من يده .
وصحت قائلاً :

- اننى ضيفك فقط يا سيدي ، لقد صرخت
لسوء الحظ فى نومى بسبب حلم مخيف !

فزجر هيثكليف لأعنا ، ووضع الشمعة على
الكرسى لأنه لم يستطع الإمساك بها فى ثبات •
وسألنى :

- ومن أنى بك الى هذه الغرفة ؟

فاجبت :

- زيللا خادمك ، اعتقد أنها أرادت الحصول على
دليل بأن المكان مسكون • حسن ، انه لكذلك ! ولك
الحق فى اغلاقه •

فسال هيثكليف :

- ماذا تعنى ؟ لا يوجد عذر للضجة الرهيبة التى
أحدثتها ، الا اذا كان هناك شخص يذبحك من
رقبتك •• !

فاجبت :

- اذا دخل شبيحها الصغير من النافذة لكنت قد
أجهزت على بالتأكيد ! حيث أن كاترين لنتون أو إيرنمو
أو أي اسم تدعى به أخبرتنى بأنها تسير في الأرض منذ
عشرين سنة !

وما كنت أنتهى من هذه الكلمات الا وتذكرت
ارتباط هيثكليف مع كاترين من الكتابة الموجودة في
الكتاب .

وارعد هيثكليف قائلا :

- ماذا تعنى بكلامك بهذه الطريقة لي ؟ كيف
تجسرو على ذلك وأنت تحت سقفي ؟! وخبط جبهته
بضراوة . . وبدات البس ، وجلس هيثكليف على
السريр . واعتقد ، بسبب تنفسه المتقطع ، انه كان
يصارع شعورا جبارا . وقال أخيرا :

- سيد لوكوود ، يمكنك الذهاب الى حجرتي .
فصراخك الصبياني قد أنهى فرص نومي لهذه الليلة .

فاجيت :

- وأنا أيضا • مناسير في العساحة حتى بروغ
ضوء النهار ، ثم أرحل !

وتركت الغرفة ، ثم لكوني لم أعرف الطريق الى
تحت ، استدرت عائدا لأسأل ، فشاهدت دون قصد
سلوك مضيئ الغريب •

لقد ذهب الى السرير وفتح النافذة متفجرا ، وهو
يفعل ذلك ، في نوبات من البكاء الذي لا يمكن التحكم
فيه • وصرخ :

- تعالى ! تعالى ! كاتى افعليها وتعالى ! .. أوه
افعلها مرة أخرى ! أوه .. يا أغلى ما في قلبي ! هل
تسمعين هذه المرة ، كاترين ، أخيرا !!

لم يظهر شبحها على الإطلاق ولكن الجليد والريح
كانا يهبان للداخل بوحشية •

وكانت هناك معاناة في حديثه المسعور لدرجة اني
بدأت أشفق عليه .. فنزلت متحسسا طريقي الى

المطبخ بهواء حيث وجدت بقايا للنار مازالت دافئة ،
فتحدثت على طاولة حتى الصباح وغادرت مبكرا بقدر
الإمكان .

كان الهواء صافيا وباردا كالثلج . وقبل أن أصل
نهاية الحديقة جاء مضيض ورائي وعرض أن يذهب معي
عبر المستنقعات . وحسنا ما قد فعل حيث كان جانب
التل كله عبارة عن بحر عظيم من الثلج الأبيض ، ولا
يسكن رؤية الطريق .

وتبادلنا قليلا من المحادثة ، واغترقنا عند مدخل
باحة تراش كروس . ووصلت منزل المزرعة بعد ما
ضللت طريقي بين الأشجار ، وغصت حتى رقبتى في
الجليد ، فارتاحت مسز دين مدبرة المنزل لرؤيتي ،
لأنها اعتقدت بأننى لقيت حتفى في المستنقعات !

الفصل السادس

من هؤلاء الناس ؟

أصبحت عندئذ شبه متجمد .. وجررت نفسي صاعدا السلم ، وارتديت ملابس جافة ، وجلست في حجرة الجلوس ضعيفا لدرجة لم أستمتع بالمدفأة المبهجة ولا بالقهوة الساخنة التي أعدتها الخادمة لانعاشي .

لقد اخترت هذا المكان ، على ما أذكر ، لانعزاله .. ولكننا نحن البشر لا نعرف عن عقولنا الا القليل ! هل حقا أرغب في الحياة هنا ؟!

وعند المساء كنت قد تعبت من مصاحبة نفسي .. فطلبت من مسز دين عندما أحضرت العشاء أن تجلس أثناء تناولي له ، وسألتها :

— لقد عشت هنا لفترة من الوقت .. أليس كذلك ؟

— ثمانية عشر عاما يا سيدى . لقد جئت عنده
زواج السيدة لأقوم على خدمتها وبعد وفاتها ، احتفظ
السيد بى كمديرة لمنزله .

وفكرت :

— سادير الحديث عن عائلة صاحب المزرعة وفتاة
النافذة الجميلة هذه — أحب أن أعرف تاريخها .
وبهذه النية سألت لماذا أجر هيثكليف منزل تراش
كروس وفضل أن يعيش فى مكان أقل عظمة الى حد
كبير .

واستفسرت :

— ليس غنيا بما يكفى للحفاظ على المزرعة فى
حالة لائقة ؟

فاجابت :

— غنى يا سيدى ! أجل انه غنى لدرجة تمكنه من

أن يعيش في منزل الفخم من هذا • ولكنه حريص جدا
على ماله •• !

– لديه ابن على ما يبدو ؟

– كان لديه ابن ومات !

– والسيدة الشابة مسز هينكليف أرملة ابنه من
أين جاءت ، في بادئ الأمر ؟

– لماذا يا سيدي ، انها ابنة المرحوم سيدي
السابق ، وكان اسمها قبل الزواج كاترين لنتون •
كنت مربيتها ، المسكينة !

لقلت متعجبا :

– ماذا ! كاترين لنتون !؟

ولكن لحظة تفكير جعلتني أدرك أنها ليست كاترين
الشبح •

– ومن هو إيرتسو ، هيرتون إيرتسو ، الذي
يعيش مع السيد هينكليف ؟ •• هل هو قريب له ؟

– كلا •• انه ابن أخ المرحومة مسز لنتون ، وابن

خال السيدة الصغيرة • هيرتون هو آخر صليل لعائلة
ايرنشو ، عائلة قديمة جدا مالكة لمرتفعات وذرينج ••
وكاترين هي السليمة الوحيدة الباقية من عائلة لنتون ،
الذي كان منزل عائلتها هو مزرعة تراش كروس • هل
ذهبت الى المرتفعات يا سيدى ؟ اود أن اسمع كيف
حالتها ؟!

— مسز هينكليف ؟ انها تبدو فى حالة طيبة ،
وجميلة جدا ، ولكنها ليست سميدة على ما اعتقد ••
— أوه ، حسن ، اننى لست مندحشة • وكيف
وجدت السيد ؟

— انه شخص خشن يا مسز دين • هل تعرفين أى
شئ عن حياته ؟

— كل شئ يا سيدى ، فيما عدا مسقط رأسه ،
ومن هما والداه ، ولا أعرف كيف حصل على ماله فى
البداية •• ولقد خسر هيرتون حقوقه ا فالولد التبعيس
لا يعرف كيف سلبت أملاكه !

— حسن ، يا مسز دين ، لن أستطيع أن أرتاح اذا

ذهبت الى الفراش . فهل يمكنك البقاء واخبارى ببعض
ما تعلمينه عن جيراني ؟

- اوه . بالطبع يا سيدى ! سأذهب لأحضر قليلا
من شغل الحياطة ثم أجلس كما تحب !

وخرجت مسرعة ، واقتربت من المدفأة .
فأحسست برأسى ساخنة ، وباقى جسمى باردا . لقد
اثارتنى أحداث اليومين الأخيرين ، وبدأت أخشى أن
يكون الأثر على صحتى خطيرا .

وثبت أن مخاوفى كانت حقيقية . وقضيت
الأسابيع التالية فى الفراش ، وائساء وعكسى كانت
مسز دين تاتى لتجلس وتشاركنى الصعبة .

وثناء ذلك ، أخبرتنى قليلا قليلا بالقصة
التالية ..

الجزء الأول

كاترين الأولى

أو

بلور الحقد تزود

(١٧٧١ - ١٧٨٤)

ترويها السيدة ايلين (نيل) دين مديرة منزل مدرسة تروني مروس
والخدمة السابقة بمرتفعات وذرنيج

الفصل السابع

غريب غير مرغوب فيه

بنت عائلة ايرنشو مرتفعات وذرنيج منذ أكثر من
ثلاثمائة سنة مضت ، وظل حتى عهد قريب منزلا للعائلة
.. وكنت ، قبل أن أحضر لأعيش في المزرعة ، دائما
في المرتفعات ، لأن أمي كانت ، وأنا طفلة صغيرة ،
مربية لهندي ايرنشو الذي كان والد هيرتون ...
واعتمدت ، كطفلة أن ألعب مع الطفلين ، هندل وأخته

كاترين ٠٠ واليوم بأعمال صغيرة ، أيضا ، كتجميع
الخش ، وكنت دائما مستعدة بالمزرعة للقيام بأى عمل
يطلبه منى أى أحد .

وفى صباح أحد أيام الصيف الجميلة نزل السيد
ايرنشو الكبير مرتديا ملابس السفر ، وبعد ما أخبر
جوزيف ما عليه أن يقوم به أثناء النهار ، التفت الى
ابنه وابنته وسألها عما يحب أن يحضره لهما من ميناء
ليفربول ، قائلا يجب أن يكون ما يحضره شيئا صغيرا
حيث أن المسافة حوالى ستين ميلا . فطلب هتدل آلة
كمان ، واختارت كاترين سوطا ، فرغم كونها لا تزيد
عن ست سنوات من العمر الا أنها كانت تستطيع أن
تمتطى أى جواد بالاسطبل . وقبل ابنه وابنته مودعا
وانطلق ٠٠

وبدت الأيام الثلاثة التى غابها فترة طويلة علينا
جميعا . وتوقعت السيدة ايرنشو حضوره على موعد
المساء فى الليلة الثالثة ، واخذت تؤجل الأكل ساعة
وراء ساعة ولكن لم تبد أى علامة على مجيئه . وحل

الظلام وأرادت أن ترسل الطفلين إلى فراشهما ، ولكنهما
توسلا أن يظلا مستيقظين حتى يحضر .

وفي حوال الساعة الحادية عشرة افتتح الباب
بهدهد ، ودخل السيد ملقيا بنفسه على الكرسي ضاحكا
متأوها ، ثم فتح معطفه الكبير الذي كان مسسكا به
ملفوقا على ذراعيه .

- انظري هنا ، يا زوجتي ! عليك أن تأخذي هذا
كهديّة من الله ، رغم أنه في سمرة كأنه قادم من عند
الشیطان !

تزاحنا من حوله وشاهدت من فوق رأس كاترين
طفلا قذرا ، أسود الشعر ممزق الملابس ، كبيرا بما
يسمح له أن يمشي ويتكلم . وفي الحقيقة كان يبدو أكبر
من كاترين . وعندما وضموه على قدميه ، أخذ يحملق
في من حوله ويكرر بعض الأصوات التي لم يفهمها
أحد . لقد خفت ، وكانت السيدة إيرنشو مستعجلة
أن تلقى به خارج الأبواب .

لقد راه السيد يموت جوعا ، بلا مأوى وغير قادر

على النطق بأى كلمة انجليزية فى أحد شوارع
ليفربول . ولم يعرف أحد أهل هذا الطفل ، فقرر ألا
يتركه طالما عثر عليه ، وحيث أن وقته كان محدودا ،
وكذلك النقود التى معه ، ففكر أنه من الأفضل أن يأخذه
معه ، إلى البيت فى الحال . وطلبوا منى أن أحسنه ،
وأعطيه ملابس نظيفة ، وأدعه ينام مع الأطفال .

والتنع هندل وكاتى بالنظر والاستماع حتى بدأ
كلاهما البحث فى جيوب والدهما عن الهديتين اللتين
وعدهما بهما . وكان هندل صبيا فى الرابعة عشر من
عمره ، ولكنه عندما سحب ما كانت آلة كمان وتكررت
فى المظنط إلى قطع صغيرة بكى عاليا . . . وعندما علمت
كاتى بأن أباهما قد فقد سوطها وهو يرمى الغريب أبدت
انفعالها بأن تبصق وتكشر فى هذا الشيء الصغير .
وتلقت ضربة من أبيها ليعلمها السلوك المهذب . ورفضاً
كلية أن ينام الطفل معها فى فراشهما أو حتى فى
حجرتهما ، ولذلك وضعتة خارجا على السلم ، آملة أن
يذهب لحاله عند قدوم الصباح . ولكنه تسلل إلى باب

غرفة السيد ايرنشو وعثر عليه هناك . فطر دنى خارج
المنزل كمقاب على قسوتى .

وعند عودتى بعد أيام قليلة وجدتهم قد أطلقوا على
الطفل اسم هينكليف . وكان هذا اسم ابن لعائلة
ايرنشو مات فى طفولته . وأصبح منذ ذلك الحين
بالنسبة له اسما ولقبيا .

وأصبح هو والآنسة كاتى على وفاق تام ، بينما
كرمه هندل . ولم تقل السيدة اية كلمة عندما تراه
يسى . معاملته ...

كان يبدو طفلا صبوراً غير مبتسم ، ربما تعود
على عدم الشفقة . فكان يقاسى من ضربات هندل دون
شكوى . وعندما اكتشف السيد ايرنشو أن ابنه
يضرب الطفل اليتيم المسكين ، كما دعاه ، غضب وثار .
وأصبح مفرماً به بشكل غريب ، فأخذ يدله أكثر من
كاترين التى كانت متشبثة الراى جداً وشقية لدرجة
أبعدها عن أن تكون المفضلة .

وهكذا تسبب هيثكليف ، من البداية ، فى بث
الشعور السيء فى المنزل ، وعند وفاة السيدة ايرنشو ،
بعد عامين ، تعلم السيد الصغير أن يفكر فى أبيه على
أنه قاس ، وغير رحيم ، وفى هيثكليف على أنه لص
سرق حب أبيه منه .

وكننت اتعجب دائما ما الذى رآه سيدي ليعجب
به فى هذا الولد الكريه الذى ، على قدر ما أتذكر ، لم
يظهر أية علامة امتنان لمعاملته على هذا النحو الطيب . .
كان بكل بساطة بلا شعور تجاه حاميه ، رغم أنه يعرف
جيذا مكانته فى قلبه .

أذكر ذات مرة أن السيد ايرنشو اشترى زوجا
من الجياد الأولاد . فأخذ هيثكليف الأجل . ولكنه بعد
فترة أصابه شيء فى قدمه ، وعندما اكتشف ذلك قال
لهنكل :

— يجب أن تبادل جوادك بجوادى ، والا أخبرت
والدك بالضربات الثلاث اللاتي أعطيتهم لى هذا
الأسبوع !

فهذه هندل بكرة حديدية كانت في يده • فقال
هيكليف :

- القها ، وساقول انك تتفاخر بطردى خارج
البيت عند وفاته وسترى أنه سيطردك أنت في الحال •
فالقها هندل ، وضربه في صدره وتسبب في
سقوطه • ونهض ثانية في الحال شاحبا مقطوع النفس ،
وإذا لم أمنه لكان ذهب فورا الى السيد وحصل على
انتقام كامل •

وقال القتي هندل :

- خذ حصاني يا عجرى يا حبيب ، وادعوا الله أن
تنكسر رقبتك آ

وذهب هيكليف ليستولى على الحصان عندهما
انتهى هندل من حديثه ، واندحشت عندما رأيت الطفل
يلطم نفسه بهدوء وينهض من تحت قدم هندل ، ويقوم
بتبديل السرجين وكل شيء ، وحشته على أن يضع اللوم
للخدمات التي ظهرت في وجهه على الحصان • فلم يعر
ذلك اهتماما طالما قد حصل على ما يريد •

الفصل الثامن

هندلي يصبح سيدا

وتمر الوقت ، وتبدأ صحة السيد ايرنشو تسوء .
وفجأة يفقد قوته ويصبح سريع الغضب .
واستقر في رأسه انه بسبب حبه لهيثكليف ، فكل واحد
يكره الولد ويحتمل له الأذى . وكان هذا ضررا على
هيثكليف الصغير ، لأننا كنا لا نريد ازعاج السيد ،
واستسلمنا له جميعا ما عدا ابنه ، وكان ذلك تشجيما
لكبرياء الولد واستشراء لطمعه الأسود . وكان أسلوب
الاحتقار الذي يستخدمه هندلي يفضي والده : وكاد
السيد ايرنشو أن يسك بعصاه ليضربه ، وانتفضي
من الغضب لمجزه .

وأخيرا ، جاء راعي كنيسةنا ، الذى كسب بعض المال من تعليمه لصفار عائلتي لنتون وايرنشو ، ونصح بارسال الفتى الى الكلية ووافق السيد ايرنشو ولكن على مضى . .

واملت أن نحصل على السلام آنئذ ، وتم ذلك فيما عدا من الآنسة كاتى ، وجوزيف . فكان الخادم المجوز لديه كل ليلة سلسلة من الشكاوى ضد هيثكليف وكاتى . أما بخصوص كاتى ، فبال تأكيد كان لديها طرق لم أر مثلها مطلقا فى طفلة من قبل . فكانت تفقدنا صبرنا خمسين مرة وأكثر كل يوم . فمن ساعة نزولها من الطابق العلوى حتى ساعة ذهابها للنوم ، ونحن لا نحصل على دقيقة راحة من شقاوتها . كانت روحها دائما مرحة ولسانها دائما يتحرك . . تفنى ، وتضحك وتزعج كل من لا يفعل مثلها . فكانت شيئا صغيرا شريرا متوحشا ، ولكن كان لديها أجمل عيني ، وأحل ابتسامة ، وأرشق خطوة فى منطقتنا كلها . وأظن ، رغم كل شيء ، أنها لم تكن تقصد أى ضرر . وأصبحت متيمة بهيثكليف ، وأعظم عقاب يمكننا أن

لخترعه لها هو أن نبعدها عنه ، رغم أنه كان يوبخها
أكثر من أي واحد فينا ! .

وجاءت الساعة ، أخيرا ، التي أنهت عنا إيرنشو
على الأرض . لقد مات بهدوء على كرسيه في أحد ليالي
شهر أكتوبر .

وجاء السيد هندي للبيت من أجل الجنازة ، والشيء
الذي جعل الجيران يتهايمسون يميننا وشمالا هو زوجته
التي جلبها معه . ولم يخبرنا مطلقا من هي ولا أين
ولدت . ربما لأنها ليست ذات مال ولا اسم يزكيها ،
والا ما كان احتفظ بزواجه سرا عن والده .

كانت نحيفة نوعا ما ، ولكنها صغيرة نظرة ،
وكانت عيناها تبرقان كالناس ، ولكنني لاحظت أن
صمودها السلم يجعل تنفسها سريعا نوعا ما ، وأنها
تسعل أحيانا بشكل سيء .

لقد تغير إيرنشو الصغير خلال السنوات الثلاث
لغيبابه . فكان يتكلم ويلبس بشكل مختلف ، وأبدت

روجه سيادتها في أن تنخذ كاتى كاخت لها .. فكانت
تقبلها وتغمرها بالهدايا . ومع ذلك ، لم تدم عاطفتها
طويلا ، فكلسات قليلة منها ذاكرة عدم استلطافها
لهيثكليف كانت كافية لتحرك في زوجها كراحيته
السابقة للفلام ، فطرده من صحبتهم الى جانب الحشم ،
وأوقف تعليمه مع راعي الكنيسة ، وجعله يعمل كأي
غلام أجير آخر في المزرعة .

تحمل هيثكليف معاملته بشكل حسن في البداية ،
لأن كاتى أخذت تعلمه كل ما تعلمته هي وكانت تعمل
أو تلصق معه في الحقول ، فالاثنان كانا ينموان في
توحش ووقاحة قامة . أما السيد الصغير ، فلا يعبأ
كلية بسلوكهما ، طالما أنهما يبعدان عنه .

وكانت إحدى تسلياتهم اللجوء الى البقاع في
الصباح ، ويظللان هناك طوال اليوم .. وكان العقاب
الذي يمل ذلك مجرد شيء يضحكان عليه : وينسيان
كل شيء في الدقيقة التي يلتقيان فيها سويا .. !

الفصل التاسع

المغامرة التعسة

تصادف في يوم من أيام الأحاد أن أبعثت كاترين
وهيشكليف من غرفة الجلوس بسبب الضججة التي
يحدثانها . وعندما ذهبت لأنادييهما على العشاء ، لم
أستطع العثور عليهما في أى مكان . وفي النهاية طلب
هنديل منا في حق أن نفلق الأبواب ، واقسم ألا يسمح
لهما بالدخول في تلك الليلة .

ذهب الجميع الى النوم فيما عداى ، اذ لم ياتنى
نوم لقلقى عليهما ، ففتحت نافذتى ، وأطلت برأسى
متصنتة ، فسمعت ، بعد فترة خطوات خفيفة على
الطريق ، ورايت هيشكليف بفردته . فصرخت :

- أين الأنسة كاترين ؟ عسى ألا يكون حدث لها
أى مكروه . ١٩ .

فاجاب :

- انها فى مزرعة تراش كروس . دعينى اخلع
ملابسى المبتلة ، وساخبرك بكل شئ .

فنبهته بأن يحرص على عدم إيقاف السسيده .
فاسترسل قائلاً وهو يخلع ملابسه :

- هربنا أنا وكاتى من المنزل لناخذ ساعة او
ساعتين من الحرية ، ولما لمحنا أضواء المزرعة ، فكرنا أن
ندخل ونرى كيف تقضى عائلة لنتسون أمسيات أيام
الآحاد . وركضنا من أعلى المرتفعات الى المزرعة بدون
توقف . . . لقد انهزمت كاترين تماماً فى السباق ، لأنها
كانت حافية القدمين . عليك أن تبغضى عن حداثها فى
المستنقع غدا . . . وزحطنا عبر سياج مكسور ووقفنا على
حوض زهور تحت النافذة . . . وبتسلقنا الحافة السفلية
استطعنا أن نرى . . . آه . . . انها جميلة جداً ! . . . حجرة
رائعة بكراسى مغطاة بالأحمر وموائد وأرائك ، وسجادة

حمراء ، وسفقا أبيض نقي معاطا في حوافه بالذهب ،
 ووابلا من قطرات الزجاج تتدل في سلاسل فضية
 من المركز ، وتسطع بأضواء صغيرة متلألئة ... وكان
 ادجار وأخته وحدهما هناك .. خمنى ماذا كانا يفعلان ؟
 .. ايزابيللا .. واعتقد أن عمرها نحو أحد عشر عاما ..
 تصرخ في طرف من الحجرة .. ويبكي ادجار وهو واقف
 بجوار المدفأة ، ويجلس كلب صغير في وسط مائدة ،
 وكانا يجذبان الكلب حتى كادا أن يقسمانه نصفين .
 كانت هذه منعهما ! .. وضحكنا على هذه الأشياء
 المدللة . هل تجديننى راغبا فيما تريده كاترين ؟ اننى
 لا أبدل حال هنا بحال ادجار لنتون في مزرعة تراش
 كروس ، ولا مقابل ألف حياة !

لقاطعة قاتلة :

- تكلم بهدوء أكثر ، مازلت لم تخبرنى كيف
 تركت كاترين ؟

فاجاب :

- قلت لك ضحكنا ، فسممنا الأخوان لنتون ،

وبدأ يصرخان طالبان بابا وماما .. فقمنا بضوضاء
 مزعجة لنخفيهما أكثر ، ثم القينا بأنفسنا من حافة
 النافذة بسبب قدوم أحد الخدم . وامسكت كاتى من
 يدها ، واخذت أحتها على الأسراع عندما سقطت فى
 الحال . وكانوا قد أطلقوا كلب الحراسة فامسك
 بقدمها .. ولم تصرخ .. كلا ، وإن فعلت لكنت موضع
 ازدراء .. وامسكت بحجر ودفعت به بين فكي الحيوان .
 ثم خرج خادم ، وأبعد الكلب وحمل كاتى . كانت فى
 حالة إعياء ، لا من الخوف ، أنا متأكد ، ولكن من الألم .
 ونادى السيد لنتون من الداخل :

— « هل من قبضت يا روبرت ؟ »

فاجاب :

— « بنيت صغيرة يا سيدى ، ويوجد ولد يدعى
 أنه لص . »

ثم اتصل وهو يقبض على :

— « من فضلك جهز بندقيتك يا سيد لنتون » .
 وجذبني تحت الضوء ، ووضعت السييفة لنتون

مرتفعات — ٦٥

نظارتها على أنفها ورفعت يديها في فزع ، وتسلسل
الطفلان مقتربان ، وصرخت ايزابيللا :

« احبسه يا أبى ، انه يشبه بالضبط ابن
الفجرى الذى سرق عصفورى » . وفى هذه اللحظة
استعادت كاتى وعيها من الغمائها ، وسمعت الحديث
الآخر فضحكت . وتعرف عليها آنشد ادجار . انهم
يرونا فى الكنيسة ، تعرفين . وهمس لأمه :

« انها الأنسة ايرنشو ! » .

« الأنسة ايرنشو ؟ مستحيل ! الأنسة ايرنشو
تركض فى البلد كالفجرية ! .. وقدمها تدمى ! » .

وقال السيد لتون متعجبا :

« باهال أخيها ! فى أن يدعها تنشأ هكذا !
ومن أين انتقت رفيقها ؟ ولد شرير ، ولا يليق بمنزل
محترم . هل استمعت لألفاظه ؟ »

فبدأت العن ثانية ، وهكذا أمروا الخادم أن
يطردنى . كانت ستارة النافذة مازالت مسحوبة جزئيا ،

لوقفت أراقب ، لأننى اذا رأيت كاتى ترهب فى العودة
 لكسرت الزجاج ، الا اذا تركوها تخرج .. ورأيتها وقد
 جلست فى هدوء على الكتبة . وأحضرت الحادعة حوضا
 من الماء الدافئ ، وغسلت قدميها ، وأعطاعا السيد
 لتتو شرابا ساخنا ، ووضعت ايزابيللا طبقا مملوا
 بالكحك على ركبتيها . وبعد ذلك جلفوا شعرها الجميل ،
 ومشطوه ، وأجلسوها بجوار المدفأة ، وتركنها فى أقصى
 حالات المرح جالبة شرارة حياة لعيون عاتلة لتتو
 الزرقاء القبية . لقد رأيتهم مملوين بأعجاب غبي .
 انها أعل منهم مقاماً ، ومن أى أحد آخر على الأرض ..
 اليس كذلك ؟

فللت :

— سيكون ذلك مصدر ازعاج عندما يعرف ذلك
 السيد هندل يا هيثكليف !

وتحقت كلماتى أكثر مما وددت . غضب هندل ،
 وزارنا السيد لتتو وتكلم مع السيد الصغير عن
 مسئولياته نحو أخيه . ونتيجة لذلك أبلغ هيثكليف
 بأنه سوف يطرده اذا تكلم مع كاترين مرة ثانية !

الفصل العاشر

عودة كاترين للمبيت

بقيت كاتى فى مزودة تراش كروس خمسة
اسبوع حتى الكريسماس .. شفى اثنائها قدمها وتحسن
سلوكها . وتعلمت الاستمتاع بالملابس الجميلة والاعجاب
بها ، ولذلك فبعد ان كانت كائنا صغيرا متوحشا غير
متمدن ، تلفز بلا قبعة الى المنزل وتندفع صاعدة اليها ،
اصبحت الآن فتاة صغيرة حسنة الملبس حريصة جدا على
مظهرها .. وقفزت برشاقة من على فرش اسود
جميل . وساعدها هندل . وهو يتعجب قاللا :

- لماذا ، يا كاتى ، انك جميلة جدا ! تبسدين
سيده الان !

وجاءت الكلاب تقفز مرحبة بها ، ولكنها لم تجرو
أن تلمسهم خوفا من أن يتلفوا فمسستها الرائع •
وقبلتني بحذر ، اذ كان على أثر من الدقيق الذي كنت
أعد به كمكة الكريسماس • ثم نظرت حولها باحثة
عن هيثكليف •

كان من الصعب العثور عليه في البداية •• فقد
تم إهمال أمره منذ غياب كاتى عن البيت •• ولم يكن
هناك أحد غيرى يستطيع أن يحته على الاستحمام ••
وكانت ملابسه متسخة بالوحل والتراب من كثرة
الشفل ، وشعره الكثيف غير مشط ووجهه ويداه في
حاجة الى الماء والصابون • وكان له عنده في الاختباء •

فصرخ السيد هنكل مستمتعا بالذلاله :

- هيثكليف ، يمكنك الظهور ، يمكنك أن تتقدم
وترحب بالآنسة كاترين مثل بقية الخدم !!
طارت كاتى لتقبل صديقها سبوح أو ثمان مرات
على حده ، ثم توقفت ، وانسحبت للخلف وانفجرت في
الضحك متعجبة :

— لماذا تبدو هكذا أسود قبيح المنظر ؟؟ ولكن
هذا لأنى اعتدت على ادجار ، وايزابيللا لتترو .

فقال هنرى فى صوت متعال :

— صافحها يا هينكلين !

ولكن الأنفة والحجل جعلتا الفلام لا يحركه . .

وقال اخيرا :

— لن أعل . ولن ألق لتسخرؤا منى !

وكان سيفلت من حلقنتا ، ولكن الأنسة كاتى
أمسكت به ثانية ، وقالت :

— اننى لا أقصد أن أسخر منك . لقد كنت فقط

تبدو غريبا جدا . فأنت متسخ جدا !

وبدت قلقة على لستانها خوفا من أن يكون قد
بقعه . وقال متتبعا عينيها :

— لم يكن من الضرورى أن تلمسينى ، وسأبقى
متسخا كما أحب !

وبذلك اندلع خارجا من الحجرة متبوعا بضحكات
سيدى وسيدتى . وتكدرت كاتى ولم تستطع أن تلمح
حدة مزاجه .

كانت الليلة السابقة ليوم الميلاد الكريسماس ،
وذهب جوزيف للصلاة . وجلست بفردى فى المطبخ
متذكرة سيدى الكبير ، وعطفه على . ومن هذه الأفكار
انتقلت الى غرامه بهيشكليف ، وخوفه من أن الولد قد
يسانى الاحمال بعد وفاته .

كانت كاترين فى حجرة الجلوس مع أخيها وزوجته
تشاهد الهدايا التى اشتروها لها لتعطيها لعائلة لتتون ،
ووجبت هيشكليف فى الاسطبل . فقلت له :

— أسرع يا هيشكليف . دعنى أجعلك تبدو أنيقا
قبل ما تخرج الأنسة كاتى . وعندئذ يمكنكما الجلوس
سويا بجوار المدفأة فى المطبخ وتتجاذبان الحديث حتى
موعد النوم .

لكنه استمر فى شغله دون أن يلتفت رأسه مطلقا .

وبقيت كاتى حتى وقت متأخر تجهز للصديقين
الجديدين ، اللذين سيزورانها فى اليوم التالى . وجاءت
الى المطبخ لتتكلّم مع صديقها القديم ، ولكنه لم يكن
هناك .

الفصل الحادى عشر

عيد الميلاد غير السعيد

استيقظ هيثكليف فى اليوم التالى مبكرا . وحيث
أن اليوم كان عطلة ، فقد أخذ مزاجه الحاد وذهب الى
المستنقعات ، ولم يظهر مرة ثانية حتى غادرت الأسرة
البيت متوجهة الى الكنيسة .

وبدا عندئذ فى حالة عقلية أفضل . ووقف بالقرب
منى لفترة ، ثم جمع شجاعته وقال :

— نيلل ، رتبى هندامى . ساكون حسن السلوك !

فقلت :

— لقد أذيت شعور كاترين . انك شديد

الكبرياء .

إذا كنت خجلا ، فيجب أن تطلب العفو . ورغم أن على تجهيز العشاء ، ساجد الوقت لتهيتك حتى أن ادجار سيبدو كطفل بجانبك . فانت رغم أنك أصغر منا الا أنك أطول منه وعريض الكتفين ، ويمكنك أن تطرحه أرضا في ثانية .

فاشرق وجه هيثكليف للحظة ، ثم انظلم ثانية حين قال :

– ولكن يا نيللي ، أود لو كان لدى شعر أشقر وبشرة فاتحة اللون ، وأن أكون حسن الملبس وغنيا مثله !

فاضلت قائلة :

– وتصرخ على ماما ، وتجلس في البيت طول اليوم ! أوه يا هيثكليف .. انك تبدي روحا فقيرة ! انظر الآن في المرأة وأخبرني إذا لم تكن ترى نفسك جميل المنظر أيضا ، فانت حاليا نظيف وشعرك مرتب ، وتخلصت من مزاجك الحاد . وكل ما نعرفه ، أن أبائك

كان ملكا في بلدة ما بعيدة ، وأمك كانت ملكة أيضا ،
ولقد أسرته وأنت طفل ، وأحضروك البحارة الأشرار الى
انجلترا !

وهكذا واصلت الحديث ، وبدأ هيثكليف يظهر
عليه الابتهاج ، عندما جاء صوت عجالات تتحرك على
الطريق وتدخل الساحة انقطعت محادثتنا في الحال .
ورأينا من النافذة ادجار وايزابيلا لنتون ينزلان من
عربة الأسرة وكانا منطيين بالفراء ، وأخذت كاترين بيد
كل منهما ، وأحضرتهما للمنزل .

وحشت وفيقي أن ينحب ويظهر مزاجه الصاقي ،
ولكن لسوء حظه ، عندما فتح الباب المؤدى الى المطبخ
من أحد الجوانب ، فتحة عندل من الجانب الآخر ،
فتقابلا ، وتضايق السيد لرؤيته نظيفا ومبتهجا ، أو
ربما تذكر كلمات السيد لنتون ، فدفعه بحمّة ، وأمر
جوزيف أن يرسله الى الطابق العلوى حتى ينتهى
العشاء . وصرخ فيه :

— ابعد يا شجرى ! ماذا ! هل تحاول أن تتشبه

بمن هم أعلى منك ! انتظر حتى أمسك بهذا الشعر
الجميل . . وسأستري أنى سأشده حتى يطول قليلا !

وعلق ادجار لتتوّن من المدخل :

- انه طويل من قبل ! انه يشبه شعر الحصان !

لم تكن طبيعة هيثكليف العنيفة معدة لقبول
هذه الاهانة من شخص يبدو أنه يكرهه كغريم . فأمسك
بطبق صلصلة التفاح الساخنة وألقى به فى وجه
المتحدث تماما . وبدأ ادجار يصرخ ، وأسرعت ايزابيلا
وكاترين اليه . وسحب السيد هندل هيثكليف خارجا ،
بينما أحضرت أنا منشفة المطبخ وغطت بها أنف ولم
ادجار بشئ من القسوة ، ووقفت كاتى بجواره مرتبكة،
ومحمرة الوجه خجلا .

وقالت لادجار :

- كان لا يجب أن تتكلم معي ! والآن سيضربونه ،
وأنا أكره هذا ! اننى لا أستطيع تناول غدائى .

فيكي الشاب قائلا :

- اننى لم أتكلم معه ، لقد وعدت ماما ألا أتول له
كلمة واحدة .

فقالت كاترين بالزفراء :

- حسن ، لا تصرخ ، انك لم تقتل . ان أخى
قادم . اهدأ !

وعند رؤية الوليدة على المائدة استعاد الزائران
الصغيران ابتهاجهما . . وكانا جائعين بعد رحلتها ،
ولم يحدث ضرر حقيقى . وأخذت أخدم على المائدة خلف
كرسى سيدتى . ورفضت كاتى لقمة الى شفيتها ثم
أعادتها ثانية . كان خداهما حمراوين والدموع تنهمر
من فوقهما ، فألقت بشوكتها على الأرض بسرعة وانحنى
تحت مفرش المائدة لتخفى شعورها . وظلت باللسة
طول اليوم !

وفي المساء قاموا يرقصون ، فتوسلت كاتى لاطلاق
سراج هيثكليف ، الذى حبس بأمر السيد ، حيث لم

يكن يوجد أحد ليرقص مع ايزابيلا ، ولكنها تحدث بدون جدوى ، وكان على أن أحل محله . وزاد سرورنا بالرقص عند وصول فرقة من خمسة عشر موسيقيا وبعضهم كانوا هنريين أيضا . وكانت السيدة فرانسيس تحب الموسيقى فلقدموا لنا الكثير .

وكانت كاترين تحب الموسيقى أيضا ، ولكنها قالت أن صوت الموسيقى أحل عند قمة السلم . وذهبت صاعدة في الظلام ، وتبعنها . وأغلقوا الباب السفلي ولم يلحظوا غيابنا مطلقا . ولم تتوقف عند رأس السلالم ، بل استمرت وتسقلت السلم الخشبي إلى أعلى المنزل ، حيث كان هيثكليف محبوسا . . . ولقد استطعت أن أراها على الخروج ثانية بصعوبة بالغة . وعندما خرجت كان هيثكليف معها .

وأخبرتني بأنني لا أقصد أن أشجعها على رحيلها ولكن لأن هيثكليف لم يأكل على الإطلاق منذ عشاء أمس ، فساغض عيني مرة لدفاع السيد هنكل . ونزل معنا وأجلسته على كرسي بجانب المدفأة في المطبخ .

كان سقيما ولم يأكل الا قليلا . وجلس ورأسه
بين يديه وظل صامتا ، وعندما استفسرت منه عما يفكر
فيه ، اجاب :

- احاول تنظيم تفكيري .. كيف .. اخذ بشاري
من هناء ؟ لا يعني كم انتظر ، اذا استطعت ان انتقم
في النهاية .

المصل الثاني عشر

نيسب صعبة على الاطلاق

وفي صباح احد الايام المشرقة من شهر يونيو
التالى سنة ١٧٧٨ ولد هيرتون آخر سليل لأسرة ايرنشو
القديمة .. كان طفلا جميلا ، ومع ذلك قال الطبيب
ان امه كان لديها مرض الرئة منذ شهور عديدة ، وقد
لا تعيش طويلا .

ورفض السيد هنتل ان يصدق ذلك ، ولكن فى
احدى الليالى انتابها نوبة سعال وهى مستندة على
كتفه ، فرفعها على ذراعيه ووضعت هى ذراعيها حول
رقبته ، وتغير وجهها واذا بها تموت فجأة ..

وتركوا لى الطفل هيرتون فى رعايتى كلية . وكان
ابوه راضيا طالما يراه فى صحة جيدة ولا يسسحه
يبكى .

اما بالنسبة له ، فكان فى حالة يائسة . لم يكن
لديه مكان فى قلبه سوى لزوجته ولنفسه فقط . ولم
يستطع تحمل الحسارة ، فلم يبك ، ولم يدع الله
بالسلوان ، بل لمن كل شيء وسلم نفسه لحياة التهلكة .
وترك جميع الخدم المنزل ، ولم يبق سوى جوزيف وأنا .
وتوقف راعى الكنيسة عن زيارتنا ، ولم يقترب منا أى
شخص له احترامه سوى ادجار لنتون الذى كان ياتى
من أجل كاتى .

كانت فى الخامسة عشرة من عمرها ملكة على
منطقتنا كلها : فتاة أبية متشبثة برأيها ، ولكنها وفيه
مخلصة بشكل مدهش . . . فمازال هيثكليف يحتفظ
بمكانته فى قلبها بلا تغير . ويجد لنتون بكل سموحه
صعوبة فى أن يصبح فى مثل منزلته لديها .
ولم تظهر كاترين جانبها الوعر فى رفقة آل لنتون،

فكان لديها الإدراك الطيب في أن تخجل من أن تكون
وقحة ازاء ما تلقاه منهم من حفاوة ، وحيث يتم استقبالها
بمثل هذه الأخلاق الحميدة . وكانت مفعمة بالطموح ،
فقادها ذلك أن تتخذ شخصية مزدوجة . فانخدع السيد
والسيدة الكبيرين بطرقها الجميلة ، وأصبحا مفرمين بها ،
وكسبت اعجاب ايزابيللا ، وقلب وروح أخوها .

وبعد ظهر أحد الأيام غادر السيد هندل البيت ،
وهكذا أعطى هيثكليف لنفسه أجازة . لقد وصل صبره
حوالي ستة عشرة عاما ، وكان قد خسر في ذلك الوقت
ميزة تعلمه المبكر ، وذبل احساسه الطفولي بالتفوق الذي
نماه السيد ايرنشو الكبير بمعطفه وتأنيده . ولقد كافح
طويلا ليواكب كاترين في دراستها واستسلم مع
الأسف . . ولكنه استسلم تماما عندما وجد أنه يجب
أن يهبط الى أدنى من مستواه السابق . وعندئذ بدأ
مظهره يعكس حالته العقلية ، ومشيته ينقصها الثقة ،

وكان يبدو سحبا قليل الكلام ، ويجد متعة في
اثارة كراهية من يقابلهم .

كانت كاترين لا تزال رفيقة مخلصه له ، وعندما انتهى من عمله جاء الى المنزل ليجث عنها . كنت أساعدها في ترتيب فستانها ، حيث كانت تتصرف وكان المكان كله خاص بها وحدها ، وكانت قد أعلنت ادجار لنتون بغياب أخيها .

فسالها هيثكليف :

— لماذا ترتدين هذا الفستان الحريري . هل سيأتي أحد الى هنا ؟

فاجابت كاترين مرتبكة بعض الشيء :

— لا أعرف . . . ولكن يجب أن تكون في الحفل الآن يا هيثكليف !

فعلق الغنى قائلا :

— ان هندل لا يحررنا عادة من وجوده ، لن أعمل اليوم أكثر من ذلك ! . . . سأبقى معك ؟
واتجه نحو المدفأة ، وترددت كاترين للحظة ، ثم قالت بعد فترة صمت :

- تكلمت ايزابيللا وادجار لنتون على انهما قد
يمران بعد ظهر اليوم . وحيث انها تمطر فلا أتوقع
حضورها ، لكن ربما ..

فاستمر قائلا :

- اطلبى من نيلل ان تقول بانك خرجت يا كاتى ،
لا تغذلىنى من أجل هذين البائسين صديقيك
السخيفين .

فاستمرت قائلة :

- وهل يجب ان اظل جالسة معك دائما ؟
ما الفائدة التى أجنيتها ؟ انك تبدو طفلا ولا تستطيع
التحدث بأى شئ يسلىنى !

وبدا على هينكليف الاستياء الشديد فقال
متجيا :

- لم تخبرينى من قبل باننى قليل الكلام او أنك
لا تحبين مصاحبتى يا كاتى !

فأشتكت قائلة :

- انها ليست صعبة على الإطلاق عندما لا تعرف
الناس شيئا ، ولا تقول شيئا !

فنهض هيثكليف ، ولم يكن لديه الوقت للتعبير
عن شعوره أكثر من ذلك ، لأننا سمعنا وقع حوافر
حصان على المر الحجري بالحارج . وبعد طريقة رقيقة
دخل الفتى لتتوّن ووجهه الأشقر الوسيم يلمع بالبهجة
... ولا شك أن كاتى لاحظت الفرق بين صديقيها
حيث دخل واحد ، وغادر الآخر .

الفصل الثالث عشر

نيلى غير مرغوب فيها

قال ادجار وهو ينظر الى :

- لم احضر بسرعة ، اليس كذلك ؟

فاجبت كاترين :

- كلا ، ماذا تفعلين هنا ، يا نيلى ؟

فاجبت :

- عمل يا آنسة ! فقد اعطانى السيد هنرى
الأوامر بأن احضر اية زيارات خاصة يقوم بها لنتون
الصغير .

فغطت من خللى وهمست :
- خذى نفسك وعلك وأخرجى !

فاجبت بصوت مرتفع :

- انها فرصة طيبة الآن أن السيد غير موجود ،
فهو يكره أن أقوم بعمل وهو في الحجرة . أرجو أن
تعذرني يا سيد ادجار !

سحبت الحرقعة من يدي ، مفترضة أن ادجار
لا يمكن أن يراها ، وقرصتني في ذراعي بشدة .
فألمتني للغاية . ومع ذلك فقد وجدت متعة في عقاب
كبريائها ، لذلك نهضت وصححت قائلة :

- آوه ، يا آنسة ، انها حيلة بذينة ! فليس لك
حق في أن تقرصيني !

فتمجبت قائلة :

- اننى لم المسك ، يا كاذبة !
وحركت أصابعها استعدادا لتكرار الفعل وكانت

أذناها حمراوين من شدة الغضب . فاجبت مظهره
العلامات على ذراعي :

— ما هذا ، إذن ؟

وضربت الأرض بقدمها ، ثم تملكها الروح الشقية
في داخلها فلطمنتني على خدي لطة ملأت عيني بالدموع .
فصاح ادجار متعجبا :

— كاترين ! كاترين .

وبان عليه الانزعاج لغلطتها المزدوجة : الكذب
والعنف !

وأما هيرتون الصغير ، الذي يتبعني في كل مكان ،
وكان جالسا بجوارى على الأرض فبدأ يبكي ويثرثر عن
« العمة كاتي الشريرة » ، الشيء الذي حول غضبها نحوه ،
فأمسكت بكتفيه وأخذت تهزه حتى أصبح الطفل
شاحبا ، فأمسك ادجار بيديها بدون تفكير ليخلصه
منها .. وفي لحظة تحررت إحدى يديها ، فمدت هذه
اليد الى أذنه وقرصته بطريقة لا يمكن أن تؤخذ على أنها
مزحة .

فتوجه الزائر المهان الى المكان الذى وضع فيه
قبعته بوجه شاحب وشفتين مرتعشتين . فسالت
كاترين وهى تتقدم نحو الباب :
- اين انت ذاهب ؟

فاستفسر ادجار قائلا :

- هل يمكننى البقاء بعد ان ضربتيني ؟

فسكنت كاترين ، واستمر هو قائلا :

- لقد جعلتيني خائفا وخجلا منك ، ولن احضر الى
هنا مرة ثانية !

وبدأت دموع كاترين تنهمر

ثم قال :

- كما وانك كذبت !

- حسن ، اذهب ان اردت ! هيا ! والآن
سأبكي حتى اصاب بالفثيان !

وسقطت على ركبتيها بجانب الكرسي .

احتفظ ادجار بتصميمه حتى الساحة ، ثم تطلع خلفه من خلال النافذة . كانت لديه القوة في الابتعاد ، تماما كالقوة التي يمتلكها القط في الابتعاد حين يترك فارا شبه ميت أو طائرا مأكولا جزئيا .. وعاد وأسرع داخلا الى المنزل ثانية ، وأغلق الباب من خلفه .

وعندما ذهبت فيما بعد لأخبرها بقصوم إيرنشو الى المنزل مخمورا بشكل واضح ، وجدت أن المشاجرة قد قربتهما لبعضهما ، وساعدتهما في خلق مظهر الصداقة وأقرا بنفسيهما حبيبين .

الفصل الرابع عشر

كلمات تعبر عن سوء العقل

دلع تحذيرى بوصول السيد هندلى ، ادجار الى
حصانه بسرعة ، وكاترين الى حجرتها ، وذهبت بسرعة
لاخفاء هيرتون الصغير ، ويسحب الرصاصه من بندقيه
السيد خوفا من انه قد يستخدمها فى حالة تهيجه .

ودخل ايرنشو مهمما بسباب وشتائم بذيئه
ولحنى وأنا على وشك أن أبعد ابنه ، فالتقط الولد
صارخا . وحمله الأب المخور صاعدا به السلم . ثم
توقف وهو يترنح ، ونظر نحوى وأنا أتوصل اليه أن
يحاذر ، ولكنه مال الى الأمام ، لفقرز هيرتون فجاء صحررا
نفسه من المسكة الطائشة التى يسكه بها ، وسقط !

وفى اللحظة المضبوطة وصل هيثكليف الى الطابق
الاسفل ، وبحركة طبيعية أمسك بالطفل ووضع على
قدميه . وأصبح وجهه مكفهرًا بالغضب ونزل إيرنشو
السلم ببطء باديا عليه الحجل نوعا ما . وقال لى :

— انها غلطتك . كان يجب أن تحفظيه بسأى عن
نظري . هل أصيب بأذى ؟

فصرخت حائقة :

— أذى ! اننى أتمنى أن تهب أمه من قبرها لترى
كيف تعامله !

واخذ زجاجة نبيذ وسكب بعضا منها لى كأس ،
وأمرنا بنفاد صبر أن نذهب ! . . فحملت الطفل الى
المطبخ وجلست لأهدى من روعه . واتجه هيثكليف ،
على ما أظن ، الى الاسطبل . واكتشفت ، فيما بعد ، أنه
ذهب فقط الى الجانب الآخر من المطبخ حيث المنضدة ذات
المسند المرتفع وجلس مختفيا وراءها

كنت أهدد هيرتون على ركبتى ، عندما أطلت
كأتى برأسها من الباب ، وهصت :

- هل أنت بمفردك يا نيلل ؟

- أجل يا آنسة .

- أين هيكليف ؟

- يقوم بعمله فى الاسطبل .

وتبع ذلك فترة سكون طويلة ، وسقطت دمنة من
على خد كاترين . وصاحت أخيرا :

- أوه ! اننى تعيسة جدا !

فاجبت :

- مسكينة ، ان من الصعب ارضائك : فلديك
اصدقاء كثيرون ، وليس لديك هموم تقريبا ، ومع ذلك
لست راضية !

فقالت وهى ترمع بجانبى بطريقتها الساحرة :

- نيلل ، هل تحتفظين بسر من أجل ؟ أريد أن
أعرف ما يجب أن أفعله . لقد طلب منى ادجار لنتون
اليوم أن أتزوجه . وقبلته . أسرعى وقولى اذا كنت
منخطئة أم لا ؟

- هل تحبينه ؟

- من نستطيع أن نقاوم ذلك ؟ طبعاً أحبه .

- ولماذا تحبينه يا آنسة كيتي ؟

- حسن ، لأنه حسن المظهر ، وحلو المعشر !

- وماذا أيضاً ؟

- وسيكون ثرياً ، وسوف أحب أن أكون أعظم

سيدة في المنطقة !

- إذن لماذا أنت غير سعيدة ؟ سيفرح أخوك

بذلك . . . والسيد الكبير والسيدة الكبيرة لن يعترضا .

على ما اعتقد . . . سوف تهربين من منزل مضطرب ، خال

من أسباب الراحة الى منزل ثرى محترم . فاين

الصفوية ؟

لأجابت كاترين واضعة يد على جبهتها وأخرى

على صدرها :

- هنا . . . وهنا ! حيث تعيش الروح . ففي

ودوحى وفي قلبي أنا متأكدة من اننى مخطئة .

وجلست بجانبى وأصبح وجهها أكثر حزنا
وارتعتشت يداها ..

- ليس لي الحق أن أتزوج اذجار لنتون ، وإذا لم
يدفع أخى هذا الشرير هيثكليف الى الحالة المتدنية التى
أوصله اليها ، لما فكرت فى ذلك ، فزواجى من هيثكليف
حاليا سوف يحط من قدرى ، وهكذا ، سوف لا يدرك
كم احبه .. وذلك ، لا لأنه حسن المظهر ، يا نيللى ،
ولكن لأنه نفسى أكثر منى أنا !

وسمعت حركة طفيفة قبل انتهاء الحديث ، فأدبرت
رأسى فرايت هيثكليف ينهض من المقعد ويتسلسل
خارجا . لقد أنصت حتى سمع كاترين تقول انه قد
يحط من قدرها لو تزوجته ، وخرج عندئذ ..

الفصل الخامس عشر

هروب هيثكليف

حشت رفيقتي على التكلم بصوت منخفض
فسالت وهي تنظر حولها بعصبية :

— لماذا ؟

فاجبت :

— ان جوزيف هنا ، واعتقد ان هيثكليف على
وصول .

فقلت :

— آوه ، انه لا يستطيع ان يسمعنى من هنا !
اعطينى هيرتون اثناء قيامك باعداد العشاء ، ودعيني

اتناوله معك .. أريد أن أخدع ضيبي وأجعله يؤمن
بأن هيثكليف ليست لديه أية فكرة عن شعوري نحوه ،
ليست لديه أية فكرة عن ذلك .. أليس كذلك ؟ ..
أنه لا يعرف كيف يكون حال الإنسان عندما يحب ؟

فاجبت :

- اننى لا أرى سببا يجعله لا يعرف ، كما تعرفين
أنت .. وإذا كان هو يحبك ، وكنت صفيته ، فهو
أتمس مولود على الإطلاق ! .. فمتى تصبحين زوجة
للتون ، سيفقد صديقه وحبيته وكل شيء .. هل
فكرت كيف ستحصلين الانفصال ، وكيف سيتحصل هو
أن يتركك بلا صديق على الإطلاق فى هذا العالم ؟

- يترك بلا صديق ! نفصل ! كلا ، طالما أحياء ؟
يجب أن يتخلص أدمار من كراهيته له .. نيللى ، ألم
يخطر ببالك مطلقا بأننا هيثكليف وأنا إذا تزوجنا
سنصبح معذمين ، ولكننى إذا تزوجت أدمار فستطيع
مساعدة هيثكليف بأن يعطو فى الحياة ، وأخرجه من تحت
سلطة أبنى ؟

- بنقود زوجك ؟! .. ان هذا لأسوأ سبب تعطيه
لتكونى زوجة للفتى لتتون .

- انه ليس كذلك ! انه أفضل سبب ! هذا من
أجل الشخص الذى ... لا أستطيع التعبير أن حبي
لأدجار يشبه أوراق الشجر فى الغابات : ستتغير مع
الزمن ، كما تتغير الأشجار فى الشتاء . أما حبي
لهيكليف ، فهو يشبه الصخور الجامدة الثابتة : مدعاة
لبصيص من الابتهاج المحسوس .. لكنه ضرورى
لوجودى .. نيللى ، انى أشعر بأننى هيكليف نفسه !
.. انه دائما فى عقل ، لا كمصدر سرور ، ولكن كجزء
منى !! .

- إذا أمكننى أن أفهم أى شيء من كلامك الفارغ
يا آنسة ، فاعتقد أنك اما لا تدرين أى شيء عن
الواجبات التى تأخذينها على نفسك بالزواج ، واما أنك
فتاة شريرة !

وانهى دخول جوزيف حديثنا ..
ومرت الساعات ولم يظهر أى أثر لهيكليف ،

وأصبحت كاترين قلقة ، خاصة عندما أخبرتها بأنه لم
الحقيقة قد سمع طرفا كبيرا من حديثها :

- يا ترى أين هو .. ماذا قلت ؟ لقد نسيت ..
هل تضايق بسبب عصبيتي اليوم ؟ أود لو حضر ..

كانت ليلة حالكة الظلام ، رغم أننا في الصيف ،
وحول منتصف الليل ، وبينما كنا جالسين ، هبت
عاصفة فوق المرتفعات في صخب كامل .. فكانت
الرياح عنيفة ، وكذلك كان الرعد والبرق ، وعمل كل
منها على تمزيق شجرة عند منعطف المبنى ، وتحطيم
جزء من المدخنة الشرقية .

ظلت كاترين في الخارج بجانب البسابة منتظرة
هيثكليف ، متصنعة منادية ، غير عابئة بالطقس ،
فابتلت حتى الجلد . ولم نخلع ملابسها المبتلة ، ووجدتها
في الصباح لا تزال جالسة بالقرب من المدفأة . كانت
ترتعد لا إراديا وأمرني هندي أن أذهب بها إلى فراشها .

لن أنسى مطلقا المنظر ، عندما وصلنا إلى غرفتها ،

لقد ازعجني .. اعتقدت انها ستصاب بالجنون ، ورجوت جوزيف أن يركض لاحضار الطبيب . كانت بداية حمى شديدة .. وأعلن الطبيب انها مريضة بشكل خطير ، وأخبرني أن اطعمها سوائل فقط ، وأن آخذ حذري حتى لا تلقى بنفسها من النافذة ، ثم انصرف ، حيث كان لديه عمل كثير بالمنطقة المليئة بالمساكن المتناثرة .

لم اكن ممرضة لطيفة ، أما جوزيف والسيد ، فلم يكونا أفضل مني .. كانت كاتي متعبة ويصعب التحكم فيها كأي مريض . وقامت السيدة لنتون بعدة زيارات لنا ، وعندما بدأت كاترين تسترد صحتها ، أخذتها الى مزرعة تراش كروس . ولكن السيدة المسكينة مزر لنتون أصيبت بالحمى هي وزوجها وتوفيا في خلال أيام ، الواحد تلو الآخر .

وعادت فئاتنا الشابة أكثر غرورا وأصبح مزاجها أكثر عنفا .. ولم نسمع عن هيثكليف مطلقا منذ ليلة العاصفة الرعدية . وفي أحد الأيام كنت سيئة الطالع ،

والقيت اللوم عليها في سبب اختفائه . وعند تلك الفترة ولمدة شهور عديدة ، لم تتكلم معي الا باعتباري مجرد خادمة .. لقد اعتبرت نفسها سيده الآن ، ومديرة المنزل ، واعتقدت أن مرضها الأخير أعطاها حقا خاصا في الرعاية . ولقد قال الطبيب أنها لن تتحمل أن يقف الناس كثيرا ضد رغباتها ، وأنها يجب أن تترك على حريتها لذلك ، لم يجرؤ أحد أن يعصى لها أمرا ، وانزعج أخوها بالتهديدات الخطيرة لبعض النوبات التي كانت تصيبها غالبا أثناء غضبها ، فسمع لها بما تشاء ، ليتجنب إيقاف مزاجها المضطرب .

وبعد وفاة والده بثلاث سنوات قادها ادجار لنتون الى الكنيسة ، وتزوجها ، معتقدا أنه أسعد رجل في الوجود ..

الفصل السادس عشر

العودة

غادرت مرتفعات وذرينج وكان ذلك ضد رغبتى
لاذهب مع كاتى الى منزلها الجديد . وكان هيرتون
الصغير فى حوالى الخامسة من عمره ، وكنت قد بدأت
لتوى فى تعليله حروف اسمه . فكان فراقا حزينا لى
وله .

وأصبحت كاترين ، فى مزرعة تراش كروس ،
أفضل كثيرا مما كنت أتوقعه . وبدأت مفرمة جدا
بادجار ، وأبدت حتى لأخته كثيرا من العاطفة . ولاحظت
خوف السيد ادجار عميق الجذور فى أن يتسبب فى

أدنى امتياع لها .. وتعلمت أن أكون أكثر حرصا مع
لساني حتى لا أتسبب في اغضباب سيد رحيم مثله ..
وفي خلال النصف عام ، وقد البارود مسالما كالرمل ،
لأنه مازال بعيدا عن النار التي تفجره .. وكانت
كاترين تعاني من الكتابة والصمت من حين لآخر ، وكان
زوجها يحترم ذلك كنتيجة لمرضها السابق ، ولكنني
اعتقد أنهما كانا يستحوزان حقا على سعادة عميقة
نامية .

ولكن هذه السعادة انتهت فجأة ..

ففي أمسية ذهبية من شهر سبتمبر كنت قادمة
من الحديقة بسلة من التفاح الذي قمت بجمعه ، والظلام
ليس كاملا ، فاقمر يطل من فوق جدار الساحة
ويصنع ظلالا غريبة في أركان المبنى .

كانت عيناى على القمر ، عندما سمعت صوتا من
خلفي يقول :

- نيللى ، هل هذه أنت ؟

كان الصوت عميقا وغريبا في رنته ، ومع ذلك
هناك شيء في طريقة نطقه لاسسى جعلته مألوفاً لأذنى .
وتحرك شخص ما قرب باب المنزل ، وعندما اقتربت
رأيت بوضوح أكثر ، رجلاً طويلاً في ملابس داكنة .
فلفكرت في نفسى :

- من يمكن أن يكون هذا ؟

وسقط شعاع من الضوء على وجهه . كان الحدان
شاحبين ونصف مغطيين بالشعر الأسود . وكانت الجبهة
بارزة ، والعينان غائرتين وغريبتين . لقد تعرفت على
العينين فصرخت :

- ماذا ! لقد عدت ؟ أنه أنت حقاً ؟!

فاجاب وهو ينتظر الى النوافذ :

- أجل ، اننى هيثكليف . هل يوجد أحد
بالمنزل ؟ تكلمى ! أريد كلمة واحدة منها . من
سيدتك . اذهبى وقولى أن شخصا من قرية جيسرتون
يرغب فى رؤيتها .

- كيف ستتقبل ذلك ؟ كم تغيرت أنت ! هل كنت جنديا ؟

فقاطعتني قائلا :

- اذهبي وبلغى رسالتى ، وأنا فى عذاب حتى تفعلين !

وعندما وصلت الى غرفة الجلوس ، كان السيد والسيدة لنتون جالسين سويا عند نافذة يطلان منها على الأشجار والمنتزه الممتد الى الوادى وقرية جيمرتون . . وكان كل شئ يبدو فى سلام مدهش . ولم أقدر على الكلام .

كنت فى طريقى لأن أغادر بالفعل دون أن أتفوه بالكلام ، عندما أجبرتنى حاسة غبائى الشخصى على العودة وتبليغ الرسالة .

- اغلقى الستائر يا نيللى ، واحضرى الشاي .
ساعود ثانية حالا .

وغادرت الحجرة وسال ادجار بلا مبالاة من القادم .

- شخص ما لا تتوقعه السيدة . انه هيثكليف
يا سيدى ، الذى كان يقيم عند عائلة السيد ايرنشو .

- ماذا ! الفجرى .. فتى المحرات ؟

- حاذر ! لا يجب أن تدعوه بهذه الأسماء
يا سيدى . لقد كانت محطة القلب تقريبا عندما
هرب .

وبعد فترة قصيرة ، طارت كاترين صاعدة
السلام بوحشية وفاقة النفس وقالت متعجبة وهي
تلقى بلذاتها حول زوجها :

- أوه ، ادجار ، ادجار .. هيثكليف عاد !!

فصاح زوجها فى صوت مكتئب :

- حسن ، حسن ، لا داعى للتأثر هكذا !

فاجابت وهي تتراجع بفرحها قليلا :

- أعرف أنك لا تحبّه ، ومع ذلك ، من أجل
خاطرى ، يجب أن تصبحا صديقين ، الآن .. هل أقول
له أن يصعد ؟

لقال :

- هنا ؟ اليس المطبخ مكان أليق به ؟

فتطلعت السيدة لتتوّن اليه بنظرة نصف غاضبة
ونصف ضاحكة ، ثم أجابت بعد فترة :

- كلا ، اننى لا أستطيع الجلوس فى المطبخ .

وكانت على وشك أن تركض ثانية ، ولكن ادجار
أوقفها ، وقال يغاطبني :

- اطلبى منه أن يصعد .. وانت يا كاترين ،
لا داعى أن يشاهد أهل البيت جميعهم ، منظر ترحيبك
بخدم هارب وكأنه أخوك !

الفصل السابع عشر

ترحيب ولا ترحيب

تبعني هينكليف صاعدا السلالم دون أن يتكلم ،
وأوصلته الى حضرة السيد والسيدة اللذين كانت
خدودهما الحمراء تدل على آثار خلاف ساخن . وقفزت
السيدة للأمام وأخذت يديه وقادته الى لنتون ، ثم
أمسكت بأصابع لنتون المعارضة وضغطت بهم على يدي
هينكليف .

ظهر الآن ، على ضوء الشموع والمدفأة ، التغير
الذي طرأ على هينكليف وأثار دهشتي أكثر من قبل .
لقد أصبح رجلا طويل القامة ، نشطا ، رشيق القوام ،

وقد بدا سيدى بجانبه مجرد شاب صغير ، كما ان
وقفته المفرودة كانت تدل على انه التحق بالجيش .
وكانت قسما ت وجهه تعبر عن الوقار والحزم . . لقد
اختفت نظرات الحزى والانكسار ، وحلت مكانها نظرات
الذكاء والفطنة ، وتكمن دراسة شبه متحضرة فى عينيه ،
ولكن سلوكه كان جادا ، فمسه تهذيب ، وخاليا من
الحشونة ، وفاقته دهشة سيدى دهشتى ، وتحير للحظة
فى كيفية استقبال صبي المحراث ، كما كان يدعو ،
وقال فى النهاية :

— اجلس يا سيدى ، ان السيدة كاتى ترغب فى
استقبالك هنا وبالطبع يسرنى ان البى طلبها ، وادخل
السروور على قلبها !

فاجاب هيكليف :

— وانا ايضا ، وسابقى لمدة ساعة او ساعتين !
واخذ مقعدا قبال كاترين التى راحت تحلق فيه ،
اما هو فلم يرفع عينيه نحوها كثيرا ، لكن فى كل مرة

كان يرمقها ، كانت عيناه تعبيران عن سعادته الخالصة
لوجوده بقربها . وصاحت كاترين :

- غدا سأعتقد هذا حلما ، ومع ذلك فانت
لا تستحق هذا الترحيب يا هيشكلييف ، يا قاسى ..
كيف طاوعك قلبك أن تبقى بعيدا ثلاث سنوات دون أن
تبث ولو بكلمة ؟!

فاجاب :

- - انك لم تفارقى مخيلتى أبدا ، لفسد سمعت
بزواجك يا كاتى قبل أيام قليلة . وعندما حضرت الى
هنا ، كنت أنوى القاء نظرة عليك . ثم اذهب وانتقم
من هندلى ، وانهى حياتى . غير أن استقبالك لى وضع
حدا لأفكارى هذه . لقد كافحت كفاحا مريرا منذ آخر
مرة سمعت صوتك فيها . وأرجو أن تغفر لى . لأنى
كافحت من أجلك فقط !

وقاطعه لتتوّن محاولا أن يتكلم بصوته العادى :

- كاترين ، أرجو أن نأتى للمائدة . والا سنشرب
الشاي باردا .

أخذت كاترين مكانها ، وجاءت الأنسة ايزابيللا..
وانتهت جلستهم فى دقائق لم تستطع كاترين الاكل
ولا حتى الشرب ، وابتلع ادجار بالكاد قطعة من
الkek .

لم يبق ضيفهم اكثر من ساعة ، وسأله قبل أن
ينصرف ان كان سيذهب الى جيمرتون ، فاجابنى :

- كلا ، اننى ذاهب الى مرتفعات وذرينج ، لقد
ذهبت صباحا متوقعا أن أراك هناك يا نيللى ، لتبشئني
بأخبار كاترين ، فالتقيت بأشخاص يلعبون الورق
فشاركتهم اللعبة ، وعندما لاحظت هندلى اننى املك مالا
كثيرا الآن ، دعانى لزيارته مرة أخرى . سأحاول أن
أبقى هناك ، لأكون قريبا من كاترين . ان هندلى رجل
جشع ، وسأدفع له ما يسد جشعه !

فقلت لنفسى :

- السيد هندلى يدعو له ؟! أليس من الأفضل
لهشكليف أن يبقى بعيدا ؟؟ ؟

الفصل الثامن عشر

الآنسة ايزابيلا

أخذ هيثكليف - الذى يجب ان اناديه فى المستقبل بالسيد هيثكليف - يتردد الى مزرعة تراش كروس بشكل حذر فى البداية . ورات كاترين ايضا أن من الحكمة ان تكون معتدلة فى اظهار سرورها فى استقباله . وزال قلق سيدى ادجار ثم تحول قلقه بعد ذلك الى اتجاه آخر .

لقد ظهر سبب جديد للقلق من متاعب جديدة لم نتوقمها .. ذلك بأن ايزابيلا قد انجرفت منجذبة بشكل مفاجئ نحو الزائر ، وكانت آنذاك قد بلغت

الثامنة عشرة من عمرها ، طفلة في سلوكها حادة الذكاء ، عصبية المزاج اذا اثرت . اما اخوها الذي كان يحبها باعزاز ، فقد أقلقه هذا الوضع ، وخاصة أن زواج اخته من شخص مجهول الأصل يلحق العار به وبمائلته ، وكان يحس أن طبيعة هيثكليف لم تتغير ، رغم أن مظهره الخارجي قد تحسن كثيرا .

لقد لاحظنا في الآونة الأخيرة ، أن ايزابيللا شاحبة الوجه تميسة صحة الارضاء . . ولقد أعطيناها العذر الى حد كبير لضعف صحتها بصفة عامة . وعندما حددتها كاترين ، في أحد الأيام ، بأنها سترسل أحدا لاستدعاء الطبيب ، صرخت ايزابيللا في الحال بأن صحتها في حالة جيدة جدا وأن ما يتسبب في شقاها هو سوء معاملة كاترين لها !

فصرخت كاترين باستغراب :

— معاملتي لك خشنة يا ايزابيللا ؟ ومتى عاملتك بخشونة ؟ تكلمي . . !!

فاجابت ايزابيلا باكية :

— البارحة

— البارحة ؟ متى ؟

— عندما كنا نسير قرب المستنقعات مع هيثكليف.
طلبت منى أن ابتعد عنكما ، بينما بقيت انت معه !

فقالت كاترين ضاحكة :

— وهل هذه هي فكرتك عن معاملتى السيئة ؟

— لقد رغبت فى ابعادى ، لأننى اردت أن اكون
مع... ..

فقالت كاترين وهى ترى ترددها :

— حسن ؟

— أن اكون معه ، ولا أبعد عنه ! انك أنانية
يا كاتى ، فأنت لا تريدین الحب لأحد غيرك !

— أتمنى أن اكون قد أخطأت فهمك ، يا ايزابيلا؟

- كلا ، لم تخطئى .. فانا احبه اكثر مما تحبين
ادجار ، ولا بد ان يبادلنى الحب اذا تركت له المجال !

فكالت كاترين :

- ان جهلك لشخصية هيكليف الحقيقية يجعلك
تحلمين وكأنه ذو قلب من ذهب ، انه رجل عفيف ،
قاس ، لا رحمة فى قلبه .. ولا يمكن ان يقع فى حب
أى شخص ينتمى لعائلة لنتون ، وان فعل ذلك فيكون
رغبة فى السيطرة على مالك . هذه هى صورتي عنه ،
وانا صديقتة وأعرفه جيدا ..

فصاحت ايزابيلا :

- يا للعار ! يا للعار ! انك أسوأ من عشرين
عدو ، انك صديقة سامة !

فقلت :

- ابعديه عن تفكيرك يا آنسة ، لقد تكلمت السيدة
كاترين بشدة ، لكننى لا أستطيع القول أنها مخطئة ،
فلديها علم بقلبه أكثر منى أو من أى شخص آخر ..

والناس الاشراف لا يخزون افعالهم . فكيف كان يعيش ؟ وكيف أصبح غنيا ؟ . . . ولماذا يبقى في مرتفعات وذرينج مع رجل هو يفتته ؟ . . . انهم يقولون ان السيد هندلى أصبح أسوأ وأسوأ منذ أن حضر . فهم يجلسون يلعبون الورقة طوال الليل ، ويشربون ويقترض هندلى المال بضمان أرضه ليدفع ديونه .

فاجابت :

— انك سيئة كالآخرين يا نيللى ، اننى لن استمع لقصتك ؟

وفى اليوم التالى ، اضطر السيد ادجار ان يذهب الى احدى المدن القريبة . لينهى بعض أعماله ، وعلم هينكليف بذلك فحضر مبكرا عن المعتاد . وكانت كاترين وايزابيللا جالستين فى المكتبة والصمت والجفاء . يخيم عليهما . اذ كانت الأنسة الصغيرة قد انزعجت لحماقتها الأخيرة فى اظهار شعورها المكثون . بينما كانت كاترين تشعر بالاهانة ومهينة لمعاقبة رفيقتها . . . وضحكت كاترين عندما رأت هينكليف يمر من خلف

النافذة ، بينما كانت ايزابيللا تميل برأسها على كتاب
فطلت غير واعية باقتراب الزائر حتى فتح الباب ،
وأصبح الوقت متأخرا لكي تهرب ، رغم انها كانت تود
أن تفعل ذلك .. فهتلت كاترين بلرح وهي تسحب
كرسيها الى المدفأة :

— ادخل يا هيثكليف . انك الشخص المناسب
الذى نختاره نحن لصحبتنا .. أقسم لك ، وكل
فخر ، من يفرم بك أكثر منى . انها ايزابيللا
أخت زوجى الصغيرة المسكينة ، ان قلبها يتحطم من
أجلك ! لا ، لا يا ايزابيللا ، لن تهربى !!

قالت الجملة الأخيرة وهي تمسك بمعصم الفتاة
التي حاولت النهوض .. ولم يبد هيثكليف أى اهتمام ،
أما ايزابيللا فقد همست راجية كاترين أن تتركها ،
ولكن كاتى صرخت قائلة :

— بالطبع لا ! فأنا لا أحب أن ينعتنى أحد
بالإنانية . هيثكليف ، لماذا لا يبدو عليك الفرح !؟

نظر هينكليف الى ايزابيللا نظرة جامدة وقال :

- اعتقد انك مخطئة ، ففى تود ان تهرب من
لقائى حاليا ، على اية حال !

لم تستطع الفتاة المسكينة تحمل ذلك . واخذ
وجهها يتبدل بين الصحوب والاحمرار . وبقيت كاترين
متمسكة بها لا تسمح لها بالانفلات الى ان بدأت فى
استخدام اظافرهما . وسالها هينكليف عندما خرجت
واغلقت الباب من خلفها :

- لماذا تعذبين هذه المخلوقة المسكينة بهذه
الطريقة يا كاتى ؟ انك لم تصدقى القول ، اليس
كذلك ؟

اجابت :

- اؤكد لك اننى قلت الصدق !

فسال بعد فترة وجيزة :

- اليسست هى الوريثة الوحيدة لشقيقها ؟

لأجابه كاترين :

- أجل ، الا اذا أنجبت ولدا • انسى هذا الموضوع •• انك مفروم بالتفكير في ممتلكات الناس !
وطردا الموضوع حقا من محادثتهما ، ولكنى
شاهدت هيثكليف يبتسم لنفسه بشكل شرير عندما
غادرت كاترين الحجرة ••

الفصل التاسع عشر

النقوذ الشرير

كانت زيارات السيد هيثكليف تضايقني كما تضايق سيدي ، أما اقامته الطويلة في المرتفعات فكانت لفرزا بلا حل ، وكان فضولي يدفعني للذهاب اليها ، ولكن عندما أتذكر عادات السيد هندل السيئة اليائسة ، أعود فأحجم عن الذهاب مرة أخرى لهذا المنزل التعيس .

وفي أحد الأيام ، كنت في طريقى الى جيمرتون ومررت بالقرب من المرتفعات . كانت بعد الظهيرة ، وشمس الحريف الباردة تضيء السماء . . . وذكرتنى

أشعة الشمس بالصيف ٠٠ واقتربت من الحجر الدال
على الطريق عبر المستنقعات ٠٠٠ كان مكاني المفضل
في صباى ٠٠٠ كنت أحبه أنا وهندلى من عشرين عاما
مضت ٠ وعندما انحنيت رأيت فتحة في أسفل
الصخرة، حيث كنا معتادين أن نحفظ يكنوزنا الصغيرة
فيها . وما زالت مليئة بالقواقع والأحجار الملساء ، وبدا
لي وكأنه حقيقى أن أرى رفيقى فى اللعب جالسا على
النجيل الأخضر ٠

ورفع الطفل رأسه وحق الى وجهى مباشرة .
ثم اختفى ٠ تابعت طريقى . وعندما وصلت الى بوابة
المرتفعات وجده ينتظرنى . فحدثتنى طنونى بأنه لا بد
أن يكون هيرتون ٠٠ صغيرى ٠٠٠ انه لم يتغير كثيرا منذ
أن تركته من عشرة أشهر ٠٠

صرخت متناسية مخاوفى الحقاء :

— حماك الله يا صغيرى الحبيب ! هيرتون . أنا
نيللى ٠٠ مربيتك ! هل نسيتنى ؟
فتراجع للخلف . وانحنى والتقط حجرا كبيرا .

انه لم يعرفنى . وبدأت أتكلم لكن الحجر أصابنى فى
رأسى وأطلق الصغير سلسلة من الشتائم ولوى بوجهه
البرى بتعابير شريرة ملأتنى رعبا ، وقبل أن يبكى
سحبت برتقالة من جيبى وقدمتها له . وبعد تردد
أخذها من يدى . فسأله :

- من علمك هذه الكلمات الجميلة يا صغيرى ؟
راعى الكنيسة ؟

فشتمنى ، فأسرعت بتقديم برتقالة أخرى ولكنى
احتفظت بها بعيدة عن متناول يده وقلت له :

- أخبرنى من يعطيك الدروس وسأعطيك هذه
البرتقالة . من هو معلمك ؟

- بابا .

- وماذا تعلمت منه ؟

فقال :

- لا شيء ، انه لا يحبنى لأننى أشتته !

- ومن علمك الشنائم ؟!

- هيثكليف !!

فسأته اذا كان يحب هيثكليف :

- اجل .

وحاولت ان اعرف السبب . فلم أفهم الا هذه
الجملة :

- لا ادري ، انه يعاقب بابا لما يفعله لي - انه
يشتم والدي ويقول لي افعل ما تريد يا هيرتون !

- الا يعلمك راعي الكنيسة القراء والكتابة ؟

- كلا . وعدني هيثكليف ان يكسر له أسنانه اذا

حضر .

فوضعت المرتقالة في يده وقلت له ان يخبر
والده بان امرأة اسمها نيللي دين ، تنتظره في
الخارج . . ودخل الى المنزل ، وبدلا من هندلي ظهر
هيثكليف عند الباب ، فاستدرت وأخذت أجرى بسرعة
في الطريق خائفة ، وكأنني قد رأيت روحا شريرة !

الفصل العشرون

المشاجرة

عندما حضر هيثكليف بعد ذلك ، كانت ايزابيلا ، بالمصادفة ، تطعم الحمام في الساحة . ولم يكن من عادته ان يظهر لها اية عاطفة خاصة ، لكن في هذه المرة ، عندما رآها ، نظر في حرص الى واجهة المنزل ، وكنت مختبئة خلف نافذة المطبخ . فتقدم منها وقال لها شيئا ، فبدأ عليها الاضطراب وحاولت الافلات ، ولكنه وضع يده على ذراعها ليمنع ذلك ، فاشاحت بوجهها بعيدا . وبعد نظرة سريعة الى المنزل معتقدا ان احدا لا يراه ، أحاطها بذراعيه . وهنا صرخت قائلة :

— يا للعار ! يا للعار !

فجاءني صوت كاترين من خلفي :

— من هناك يا نيللي ؟

فاجبت :

— صديقك التافه ! انني أسائل نفسي أي عذر
سيجده ليبرر مفاصلته للأنسة ، بينما قال لك أنه
يكرهها !

واقتربت كاتي وشاهدت الصراع بين هيثكليف
الذي يحاول ضمها اليه ، وايزابيللا تحاول الفرار من
بين ذراعيه ، وركضت بالفعل الى الحديقة . وبعد لحظات
فتح هيثكليف الباب . فاستولفته كاترين قائلة :

— ماذا تريد يا هيثكليف في عملك هذا ؟ ألم
أطلب منك أن تترك ايزابيللا وشأنها !

فاجاب بخشونة :

— وماذا يهمك في ذلك ؟ من حقى ان أقبلها اذا

رغبت في ذلك • أننى لست زوجك لتفارى على • ولدى
بضع كلمات صريحة أود أن أقولها لك •• أريدك أن
تعلمى أن معاملتك لى كانت مخجلة ! هل تسمعين ؟
وإذا كنت تعتقدين أنى لى انتقم لهذه المعاناة • فأنت
مخطئة •• وعلى كل إشكرك لأنك أطلعتنى على سر
أخت زوجك • الذى سوف أحسن استغلاله •• !

فقال كاترين فى تعجب واندهاش :

– ما هذا الجانب الجديد فى شخصيته ؟

فاستمر هيكليف قائلاً بانفعال الل :

– اننى لا أرغب فى الانتقام منك • فأهلاً
بتعذيبك لى حتى الموت من أجل تسليتك •• ولكن
اسمحي لى أن أسبل نفسى قليلاً بنفس الطريقة •• لقد
هدمت حياتى فهل تنتظرين أن أكون قديساً ؟!

فصرخت كاترين :

– أود • انك تريد أن تدخل البؤس لقلوب الذين
حولك • وخاصة بعد أن عاد ادجار لمزاجه الطبيعى معك

وبسات اشعر بالارتياح والأمن ، وهكذا تصمم على ائارة
الشجار ... تشاجر مع ادجار ، اذا أردت ، وخادع
أخته ، لقد اخترت أفضل طريقة للانتقام لنفسك منى .

انتهت المحادثة ، وجلست كاترين بجوار المدفأة
قلقة تميسة لا تستطيع السيطرة على أعصابها ...
ووقف هيثكليف عاقدا ذراعيه ، وغارقا في افكاره
السوداء . وغادرتها هكذا لأرى السيد ادجار الذى
وصل فى هذه اللحظة ، وقلت له :

- سيدتى فى المطبخ . انها مستاءة من سلوك
هيثكليف !

وشرحت له قدر المستطاع ما قد حصل . فقال :

- لم أعد احتمل هذا الوضع ! استدعى لى اثنين
من رجالى يا نيللى .

ونزل السلام وتبعته الى المطبخ حيث عاد
هيثكليف وكاترين الى شجارهما ، وسكنا عند رؤيته .
وقال ادجار لهيثكليف :

- لقد صبرت عليك يا هيثكليف حتى الآن ،
وسمحت لك بالدخول هنا لأن كاترين رغبت في
صيانة الصلة . لكن وجودك سم أخلاقي سيؤذي أظهر
الناس . ومنعا للشر أطلب منك مفادرة المنزل حالا
ولآخر مرة .. !

فنظر هيثكليف اليه باستهزاء وهو يقول :

- ان حملك هذا يهددني يا كاتى وكأنه أسد .
عندئذ أوما لى سيمى لأحضر الرجلين .. ولكن
كاتى التى ارتابت فيما سيحدث ، جذبتنى الى الحلف
وأغلقت الباب الداخلى ، وقالت لزوجها :
- ان لم تكن لديك الشجاعة لمهاجمته ، فاعتذر
عن ذلك .

حاول ادجار أن يأخذ المفتاح منها ولكنها مدعاة
للأمن التت به فى بالمدفأة المشتعلة .. وهنا ألت بادجار
نوبة غضب ، فأخذ يرتجف وامتنع وجهه وأصبح
كالأموات ، عندئذ قال صديقها :

- اسمعى يا كاتى بمنظر هذا الجبان الذى
فضله على ' سل هو ييكى ، ام سيفى عليه من
الخوف ؟!

ثم ركل الكرسي الذى كان ادجار متكئا عليه .
وهنا هجم عليه ادجار ولطمه لطمه قوية . فترنج لها
للحظة ، وخرج من الباب الخلفى الى الساحة ومن هناك
الى المدخل الامامى . وعند ذلك صاحت كاترين :

- وهكذا ، سينتهى مجيئك الى هنا . انصرف
الآن ، لانه سيمود اليك مسلحا ومعه مجموعة من
الحدم . لقد اسأت التصرف يا هينكلنف . . . !

ب وهل ظنن انى سأخرج من هنا قبل ان ارد
له ضربته ؟

عاد ادجار ومعه اثنان من العمال وساييس
الاسطبل . . . وهنا فكر هينكلنف ، وقرر تجنب مواجهة
ثلاثة من الحدم فكسر قفل الباب الداخلى وهرب . اما
كاتى التى استولى عليها الاضطراب ، طلبت منى
مرافقتها الى الطابق العلوى وقالت :

- أكاد أجن يا نيللى ، فراسى على وشك الانفجار .
 اطلبى من ايزابيللا أن تتجنبنى ، فهى سبب كل ذلك ،
 وإذا أثار أحد غضبى أكثر من ذلك فسأزداد جنونا .
 وإذا رأيت ، يا نيللى ، ادجار الليلة مرة أخرى ، أخبريه
 بأننى مهددة بالمرض . . أريد أن أبعث فيه الحوف . .
 بالاضافة الى أنه قد يأتى ويبدأ سلسلة شكواه . .
 وسأرد عليه بالتاكيد ويعلم الله الى أين سننتهى ! . .
 اذ لم أستطع أن احتفظ بهيثكليف كصديقى . . وإذا
 حاول ادجار أن يكون غيورا وانانيا ، فسأحاول أن
 أكسر قلوبهما عن طريق كسر قلبى أنا . نيللى ، أرجو
 أن تهتمى بى أكثر فأنا فى حاجة الى مساعدتك !

لم أرغب فى اخافة زوجها معتقدة بأنها تستطيع
 السيطرة على نفسها ، لذلك لم أقل له شيئا عندما
 شاهدته يصعد السلالم . وقال بلون أى غضب فى
 صوته :

- لن أبقى ياكاترين ، لدى سؤال واحد لأسأله
 فقط : هل ستتخل عن هيثكليف أم ستتخل عني ؟

قالت سيدتي مقاطعة :

- بحق السماء ! دعنا من هذا الحديث الآن ! ألا ترى اننى لا أستطيع احتمال المزيد ؟

- أجيبى عن سؤالى • فعنك لم يعد يلزمنى •
ويمكنك ان تكونى هادئة عندما تريدین •

- ارجوك ان تتركنى ••• ألا ترى اننى لم اعد قادرة على الوقوف !؟

واخذت تضرب الجرس حتى كسر ، وكنت أنتظر بالخارج ولكنى لم اسرع بالدخول • كان حنقها كافيا ليجعل القديس يفقد أعصابه ، اذ رقدت هناك واخذت تعبط برأسها على ذراع الكنبة وتجز على أسنانها ، ووقف ادجار متطلعا اليها فى قلق مفاجئ ، وطلب منى ان أحضر ماء ، فهست قائلة :

- لا تخف !

لم اكن اريده ان يستسلم ، رغم اننى كنت أيضا خائفة ، واخبرته بانها ترغب فى ان توقع الدعاء فى

قلبه بنوبة من نوباتها • وكانت في حالة طيبة حيث سمعته ، وفهمت قصدي ، لأنها انتفضت من فراشها وعيناها تبرقان واندفعت متوجهة الى غرفتها ، فأشار ادجار بأن اتبعها ، ولكنها أغلقت الباب بالمفتاح ، وبقيت ثلاثة أيام رافضة أن تتناول شيئا من الطعام !

أما السيد ادجار فكان يقضى وقته في المكتبة • وكان له حديث خاص مع الأنسة ايزابيللا حيث حذرهما من هيثكليف • وقال لها انها اذا شجعتة فسينهى ذلك كل الروابط بينهما كاخ وأخت • • !

الفصل الحادى والعشرون

المرض

أخذت ايزابيللا تهيم على وجهها حول المنزل وهى تبكى فى صمت وبدموع غزيرة . . . اما اخوها فكان يفلق على نفسه بين الكتب التى لا يفتحها مطلقا ، على الأمل اليائس أن تتأسف كاترين على تصرفها وتطلب العفو . اما كاترين نفسها فاستمرت فى رفضها للطعام ، على أساس أن غيابها عن المائدة قد يجلب اذجار اليها راکما . واثناء كل هذا . واصلت القيام بواجباتى كالعادة معتقدة أنى الشخص العاقل الوحيد فى هذا المنزل .

وأخيرا فتحت كاترين بابها ، فى اليوم الثالث أو

بالأحرى فى وقت متأخر من الليل .. فلبت شاحبة
مرحقة ، وطلبت الطعام والشراب حيث كانت نمتقه
أنها ستموت . فأحضرت لها شايًا مع خبز وزبد ،
فتناولته بشغف ، ثم سألتنى :

— ماذا يفعل ذلك المخلوق عديم الشعور ؟

فاجبت :

— ان كنت تقصد دين السيد ادجار فهو فى حالة
جيدة ، ويقضى معظم أوقانه بين كتبه !

لو كنت أعرف حالتها الحقيقية لما تكلمت هكذا ،
لكننى لم أستطع التخلص من فكرة أنها تمثل جزءًا من
مرضها . **فصرخت قائلة :**

— يجلس بين كتبه وأنا فى طريقى الى القبر !
أوه ، هل يعرف كم تغيرت ؟ وحملت فى صورة وجهها
فى المرأة المعلقة على الجدار المقابل ، واستمرت قائلة :
— اذا كنت متأكدة من أن ذلك سيقتله ، لقتلت
نفسى فى الحال !

لم تستطع تحمل الفكرة التي وضعتها في رأسها
عن عدم مبالاة ادجار ، ثم راحت تتأوه من الحرارة التي
تلتهم جسد ها ، وهي تتقلب من جنب إلى آخر ، ثم
نهضت ، وطلبت منى أن افتح النافذة .. كان هذا
منتصف الشتاء فاعترضت . وبدأ التعبير المرسوم على
وجهها يزعجني بشكل مفرع ، وذكرني بعرضها
السابق وعن تحذير الطبيب بالا يقف أحد ضد
رغبانها . واخذت تمزق الوسادة بأسنانها وبدت عليها
آنثى بهجة طفولية في سحب الريش من الفتحات التي
أحدتها والتعرف على الطيور التي كانت تكتسى بهذا
الريش ، فقلت لها :

— تملدى ، واغمضى عينيك ، فالنوم سيريحك !

— آه ، ياليتنى أعود إلى طفولتى ! إلى فراشى في
بيتى القديم ! وأسمع صوت الريح وهي تهب من خلال
الأشجار المجاورة للنافذة ! .. دعيني أشعر بها ..
دعيني استمتع بصوت الريح يأتى من خلال النافذة !
وفتحت النافذة لبطع دقائق لأرضائها ، فاندفعت

ريح مثلبة من خلالها ، ففقت وأغلقت النافذة ثانية .
وسألتني فجأة :

- ما هي المدة التي أغلقت فيها على نفسي هنا ؟

فاجبت :

- أربع ليال وثلاثة أيام . مدة طويلة لتعيش فيها
على الماء البارد والأعصاب التالفة !

- كانت عددا من الساعات المملة ، أذكر انني
كنت في حجرة الجلوس بعد ما حدثت المشاجرة ..
وركضت الى الطابق العلوى .. وعندما أحكمت الغلاق
الباب بالمفتاح ، خيم فوقى سواد تام . ولم أستطع
أن أشرح لادجار تأكيدى من شعورى بالاصابة بنوبة
مرض اذا استمر فى مضايقتى .

ثم امرتنى قائلة :

- افتحي النافذة على مصراعها ثانية . انك
لا تعطينى فرصة للحياة .. حسن سأفعل ذلك بنفسي !

وغادرت الحبرير قبل أن أستطيع إيقافها ،
وقطعت الحجرة مترنحة من المرض . ثم فتحت النافذة
غير عابثة بالهواء الذي كان يقطع الجسم كالسكين ،
فاستعطفتها كي تبعد عن الهواء ، وحاولت أن أعيدها
إلى فراشها عنوة ولكن قوة الحمى فيها قاومتني .

كنت أتدبر لفها بشيء دون أن أدعها تفلت من
يدي ، عندما سمعت حركة مقبض الباب ودخول
أدجار . فصرخت قائلة وأنا أشير إليه أن يخفي تعجبه
الذي ظهر على شفتيه عندما رأى المنظر :

- آه يا سيدي ! أن سيدتي المسكينة مريضة ،
ولم يعد بإمكانى السيطرة على تصرفاتها . من فضلك
تعال واقنعها بالذهاب للفراش !

فقال وهو يسرع نحونا :

- كاترين مريضة ! اغلقى النافذة يا نبلى !

كان صامتا منزعجا للتفكير في مظهر كاترين ،
وهيمنت بشيء عن عدم معرفتي بحالتها من قبل ، ولكني

شعرت اننى ابديت شرحى بارتباك • وبدأ على ادجار الضيق واخذ زوجته فى ذراعيه • ولم تبد فى البداية أى علامة على التعرف عليه ، ولكنها ركزت بالتدريج انتباهها عليه • وقالت بصوت غاضب :

— آه ! أتيت أخيرا يا ادجار ؟ انك من الأشياء التى لا توجد مطلقا عند طلبها •• سوف تشعر بالأسف عندما أصبح فى القبر •• حيث ساكون قبل انتهاء الربيع !

— كاترين ! هل أنا من الأشياء بالنسبة لك ؟
هل تحبين هذا البائس هيث •••

— اذا ذكرت هذا الاسم فسانهى حياتى فى الحال
بالقلق من هذه النافذة ! عد الى كتبك ، فانا لا اريدك الآن !

قلت :

— ان عقلها يشرد يا سيدى ، انها تهذى طوال الليل ، ويجب أن نكون حذرين من ازعاجها فى المستقبل •

لأجاب ادجار :

— لا أريد منك مزيدا من النصائح ، أنت
تعرفين طبيعة سيدتك ولقد شجعتينى أن أقف ضدها ،
ولم تعطينى أى فكرة عن حالها طوال هذه الأيام الثلاثة .
إنها قسوة !

وبدأت أَدافع عن نفسى شاعرة بأنه شيء سوى أن
أعاتب على أخطاء غيرى ، ثم عزمت على طلب مساعدة
طبية على مستثنيسى ، وغادرت الحجرة .

الفصل الثاني والعشرون

الهاربان

عند مرورى بالحديقة رأيت شبيثا أبيض معلقا فى
حلقة مثبتة فى الحائط . . كان كلب الأنسة ايزابيلا
الصغير مربوطا بمنديل وكان على وشك الاختناق . .
وبدأت فى تخليص الحيوان عندما خيل لى سماع صوت
حوافر جياذ تركض بسرعة من بعيد ، ولم أعر أى انتباه
لهذه الضوضاء الغريبة فى الساعة الثانية صباحا حيث
كان عقل مزدحما بأشياء كثيرة .

كان الدكتور كنيث - الرجل الجاد الصريح -
قادما لتوه من منزله لزيارة رجل مريض بالقرية ، وحاء
منى فى الحال . وقال :

- نيللى ، لا بد أنه يوجد سبب لذلك . ان فتاة قوية فى صحة كاترين لا يمكن أن تصبح مريضة هكذا بدون سبب . ما الذى سبب ذلك ؟

فاجبت بعلو :

- سيخبرك السيد ، ولكنك تعرف طبيعة آل ايرنشو العنيفة ، والسيدة كاترين أسوأ من أى فرد من تلك العائلة .

وبعد فحصه للحالة بنفسه تحدث بأمل للسيد لنتون فى شفاثها لو أننا احتفظنا بهدوئها التام والمستمر ، واخبرنى ان الخطر ليس فى الموت بل فى فقدان السيطرة على العقل .

لم يفض لى جفن فى تلك الليلة . وكذلك السيد لنتون . واستيقظ الخدم مبكرين عن المعتاد . وكان الجميع تشيعطين فيما عدا الأنسة ايزابيلا ، وبدأ الجميع يلاحظون تأخرها فى النوم . . . وسأل أخوها اذا كانت قد استيقظت وبدأ عليه الاستياء لقلة اهتمامها بحالة كاترين .

وجأت إحدى الخادعات تصرخ وهي فائرة لها :

— أوه ! أوه ! ماذا سيصيبنا بعد ذلك ؟ سيدى ،
سيدى ، أن آلتنا الصغيرة ...

فصحت فيها قائلة :

— بهدوء !

وقال مستر لنتون :

— أخلص صوتك يا مارى ، ما الأمر ؟

فصرخت الفتاة قائلة :

— لقد ذهبت ! لقد ذهبت ! وذهب معها

هينكليف !

كانت الفتاة بالقرية وقابلت الصبي الذى يحضر
لنا الحليب ، وأخبرها أن السيد هينكليف والآسة
إيزابيلا قد ثوقفا لتثبيت حدوات الحصان على بعد
ميلين من جيمرتون ، عند منتصف الليل !

فسالته :

— هل نحاول أن نعيدها ؟ ماذا علينا أن نفعل ؟

فاجاب السيد :

— لقد ذهبت بمحض ارادتها . لا تزعجيني بها
بعد ذلك . ومن الآن فصاعدا فهي أختي بالاسم فقط !
ولم يذكرها لي بعد ذلك . الا عند توجيهي لأرسل
لها ما يخصها الى منزلها الجديد . أينما كان — عندما
أعرفه !

الفصل الثالث والعشرون

شهران كئيبيان

ظل الهاربان غائبين لمدة شهرين ، عانت فيهما
كاترين الكثير ، واستردت صحتها بالتدريج من أسوأ
نوبة مرض ، تبين أنها كانت حمى في المخ !
وأخذ ادجار يرعاها ليل نهار ، متحملا بصبر
جميع الصعاب التي يتسبب فيها مرض الجسد
والعقل .. وحذره الطبيب على صحته وقوته هو ، حيث
أصبح يضحي بها من أجل مجرد حطام .. لأن زوجته
لن تعود كما كانت مرة أخرى .. لكنه لم يعرف للفرحة
حدودا عندما تجاوزت كاترين مرحلة الخطر . كانت
الفرحة فرحتين بعد أن تبين أنها كانت حاملا .. وكان

أعلمنا أن يضر الفرح قلب السيد ادجار بميلاد وريثه
الذى سيؤمن اراضيه من أن يستولى عليها غريب ..

كانت اول مرة تغادر فيها حجرتها فى بداية
شهر مارس ، حيث وضع السيد ادجار على وسادتها
باقة من الزهور فى الصباح ، فوقعت عينها عند
استيقاظها على اللون الوضاء بالبهجة فتألمت بالسرور .
ونالت :

- انها بشائر زهور المرتفعات المبكرة ، انها
تذكرنى بالرياح اللطيفة وشروق الشمس الدافئة
والجليد المذاب .

فقال لها زوجها :

- لقد ولى الجليد تماما يا عزيزتى .. كاترين ،
فى الربيع الماضى كنت أنطلق شوقا للحصول عليك
تحت هذا السقف . والآن أنسى لو كنت فوق تلك
التلال على بعد ميل أو ميلين ، فالهواء فى منتهى
العذوبة ، أشعر انه سيشفيك تماما !

وأخبرني السيد بأن أشمل المدفأة في حجرة
الجلوس وأضغ كرسيها في الشمس المشرقة . ثم نزل
بها حيث جلست لفترة طويلة مستمتعة بالدفع .
وعندما حل المسام ، لم ترغب في العودة الى الطابق
العلوي ، رغم كونها متعبة جدا ، لذلك جهزنا لها حجرة
أخرى في الطابق السفلي وبنت عفية بها فيه الكفاية
لتتحرك من حجرة الى أخرى ، مستندة على ذراع ادجار .

وبعد حوالي ستة أسابيع من مفارقة ايزابيلا ،
ارسلت رسالة قصيرة الى أخيها تعلن عن زواجها من
هيشكليف . . . وبنت الرسالة جالة وباردة ، ولكنها
كانت مذيلة بسطر بالقلم الرصاص تصر فيه عن أسفها
على عملها ، ورغبتها في الصفح . . . ولكن ادجار لم يرد
على رسالتها . وبعد أسبوعين وصلتني رسالة من
الفتاة التيمسية ، التي احتفظت بها حتى الآن ، وهذا
نصها :

• عزيزتي نيلل . . . لقد ذهبت الليلة الماضية
الى مرتفعات وذرنيج ، وعلمت للمرة الأولى بمرض

كاترين • اعتقد انى لا يجب ان اكتب لها ، ولا بد ان يكون اخى غاضبا منى لانه لم يرد على رسالتى •

اخبرى ادجار ان قلبى عاد الى المزرعة بعد اربع وعشرين ساعة من مفادرتى ، ومع ذلك ، لا استطيع ان اتبع قلبى •

انى اتساءل كيف امكنك ، عندما كنت تعيشين هنا ، ان تبقى على انسانيتهك •• هل كان هيثكليف مجنوناً •• ام هل هو شيطان ؟ •• ارجوك ان توضحى لى ، اذا امكنك ، بمن تزوجت !

لقد وصلنا هنا بعد غياب الشمس ، وخرج الخادم يوسف ومعه مصباح ، وهو يلقي على بنظرة قميئة ، ثم اخذ الجياد وانصرف •• وبقي هيثكليف ليتحدث معه ، ودخلت انا الى المطبخ حيث الاقدار والفوضى •• انك لن تستطيعى التعرف عليه ، لقد تغير تماما منذ ان كان تحت رعايتك •• والى جانب الموقد كان يقف طفل قذر ، خشن المظهر ، يشبه كاترين فى العينين وما حول الفم ، وقد تعرفت عليه بأنه لا بد ان يكون

هيرتون . . وحاوله ان اكسب وده ، لكنه شتمنى
اولا ، ثم اطلق احد الكلاب على .

خرجت من المطبخ ، ورحت اتجول فى الفناء ،
وقرعت احد الأبواب ، ففتحه لى رجل طويل رث الثياب
اشمت الشعر ، كان يشبه ، هو ايضا ، عزيزنا
كاترين . . وتأكدت انه هندل شقيقها ، فادخلنى
واغلق الباب . . ورايت انها نفس الحجرة الفسيحة
التي كانت تشع بهجة واشراقا عندما زرتها منذ
سنوات . أما الآن فهي مغبرة لا يعتز بها احد . فسألته
اذا كان يمكننى ان استدعى الخادمة لندلنى على حجرة
النوم . . لكن السيد هندل لم يحر جوابا ، وبدا
وكانه نسى وجودى ، وبدا غريبا جدا ولم يقم بالترحيب
بى حتى اننى قررت ألا أزعبه ثانية .

عندئذ تذكرت انه على بعد اربعة اميال يقع البيت
السعيد الذى فيه احب الناس لى فى الدنيا ، ومع
ذلك وكان بحرا عريضا يفرق بيننا ! وكررت سؤالى
ثانية .

قال هندل :

- ليس لدينا خدم ، عليك أن تخدمى نفسك !
كنت متعبة وبائسة فقلت والدعوى تسجيل من
عينى :

- واين اناام اذن ؟

- سسيقودك يوسف الى غرفة هيثكليف ،
ولتحسنى اغلاق بابك بالمفتاح .

- لكن لماذا يا سيدى هندل ؟

فقال وهو يسحب من جيبه سندسا صفيرا
غريب الصنع مثبت فيه سكين ذو حدين :
- لأننى لن اتوانى عن قتل هيثكليف ، ان رايت
باب غرفته مفتوحا فى ليلة ما !

فسالته :

- وماذا فعل لك هيثكليف ؟ اليس من الأفضل
ان تطرده من البيت ؟

فصرخ هتلى :

- كلا ! هل اخبر تقوى كلها دون فرصة
استردادها ؟ هل يصبح هيرتون شحاذا ؟ ..
ساستردها وساحصل على ذهبه ايضا وعلى دمه !
انك تعرفين عادات سيدك القديم ، انه على وشك
الجنون ، وأخشى الاقتراب منه .

كانت حجرة هيشكليف مغلقة ، فذهبت لأنام على
كرسى بحجرة الجلوس ، حتى عاد بأخبار مرض
كاترين ، واتهم اخي بأنه سبب ذلك ، وعهدنى بالانتقام
منى بدلا منه الى أن تسمح له الظروف بمعاقبته هو .
انى بائسة .. لقد كنت حمقاء .. لا تقولى شيئا مما
ذكرته لك لئلا أحد بالمزرعة ، أرجو حضورك لرؤيتى
بانييل فى أقرب فرصة .. سأوقع قصومك كل يوم ..
فلا تخيبى رجائى ! .. ايزابيللا ، ..

الفصل الرابع والعشرون

سوف أراها !

عندما انتهيت من قراءة رسالة ايزابيلا ، ذهبت الى السيد ادجار وأطلعته على أخبار أخته ورغبتها في عفو ، فأجاب :

- اذهبي لزيارتها بعد الظهر . . وبلغنيها أسفى لفراقها ، وأنه فراق الى الأبد !

لقد أحزننى برود السيد ادجار بشكل كبير ، وأخذت أفكر طوال الطريق الى مرتفعات وذرينج فى تخفيف وقع رسالة ادجار .

كان منظر القصر بائسا وهو الذي كان في منتهى
البهجة سابقا . . وتواصت ايزابيللا مع المظهر الذي
يحيط بها من اعمال . . فكان وجهها الفاتن شاحبا
عديم التعبير ، وشعرها غير مرتب فبعضه يتدل وبعضه
يلتوى باعمال حول رأسها ، وربما لم تصلح من مظهرها
منذ الليلة السابقة .

لم يكن هندي موجودا ، ولكن هيثكليف كان
يجلس على المائدة . فنهض وحياني بطريقة ودودة وقدم
لي كرسيًا . قد يحكم عليه من لا يعرفه بأنه جنتلمان
بالمولد ، وإن زوجته من اصل أدنى .

جاءت ايزابيللا نحوي بلهفة ، وهي تأمل أن
تستلم رسالة من أخيها ، وكان على أن ابلغها كلمات
أخيها . فارتعشت شفتاها واستدارت الى حيث كانت
تجلس . وراح زوجها يستفسر عن صحة كاترين .
فقلت له :

— انها تسترد صحتها الآن . ولن تعود كما
كانت ، لكن حياتها انقذت باعجوبة . . ولقد تغير

مظهرها وكذلك شخصيتها تماما . ويرافقها سيدي
الذي سيحافظ على عاطفته نحوها على سبيل العطف
والاحساس بالواجب .

فامسك هيثكليف بزمام نفسه ليبدو هادئا
وقال :

- هل تتخيلين اني ساترك كاترين لواجب سيدي
وعطفه ! .. نيللي ، يجب ان تعديني بان ترتبي لي
موعدا لرؤياها .. قبلت ام ابيت ، سوف اراها .
فما قولك ؟

فاجبت :

- اقول يا سيد هيثكليف ، ان اية زيارة يتولدها
عنها شجار بينك وبين السيد ادجار سوف تقضى على
حياتها !

- بمساعدتك يمكن تجنب ذلك .. ان الخوف من
انها قد تعاني من فقد ينعني من اقتزاف عمل
مشين ، وهكذا ترين الفرق بين مشاعرنا .. اذا كان

هو في مكاني وأنا في مكانه لما رفعت يدي ضده ، طالما
ترغب هي في مرافقته ، ولحظة ما ينتهي شعورها
سامزق قلبه اربا ، ولكن حتى ذلك الحين ، ساموت على
فترات قبل أن المس شعرة واحدة من رأسه !

لقاطعة قاتلة :

- ومع ذلك ، فانت لا تمبا بتحطيم فرحتها
لاسترداد صحتها بازعاجها الآن ، بينما هي كادت أن
تنسك .

- اوه يا نيللي ! .. تعلمين أنها لم تنسني ! ..
وتعلمين كما أعلم أنها في كل مرة تفكر في ادجار تفكر
في أنا ألف مرة ! .. لقد هيمن على مثل هذا الاحتمال
عند عودتي في الصيف الماضي ، ولكن كلماتها تجعلني
أعترف بالفكرة المفرقة ثانية .. وعندئذ .. سوف
لا يكون ادجار شيئا ، ولا هندلي ، ولا أحلام الانتقام
الأخرى التي طالما حللت بها .. كلمتان فقط تمثلان
مستقبل .. الموت والجحيم ! .. لكن كاثرين لها قلب
عميق مثل قلبي ، ومنزلة ادجار عندها لا تزيد عن

منزلة قلبها أو جوادها .. ليس فيه ما تحبه .. وكيف
لها إذن أن تحب فيه ما ليس فيه ؟

وبعودة مفاجئة للحياة صرخت ايزابيلا قائلة :

— كاترين وادجار مفرمان ببعضهما كأي
زوجين ! ولا أحب أن أسبح سيرة أخى بهذا الاستخفاف !

فقال هيكليف باحتقار :

— إنه لا يستحق إلا هذا الاستخفاف !

فقلت :

— ان سيدتى الصغيرة تبدو حزينة لتغير
ظروفها ، وقد تعودت على الحنان وعلى من يقوم
بخدمتها ، فيجب أن تأتى لها بخادمة .. ومهما كان
تفكيرك فى ادجار فلا يمكنك أن تشكك فى عاطفتها
نحوك ، والا ما تركت أبدا كل أسباب الرفاهية
والسمادة فى بيتها لتعيش معك فى هذا المكان الموحش !

فأجاب :

- ان الوهم ، هو الذى جعلها تتخلى عن كل شيء ،
اذ انها حسبتنى ذلك الرجل المدعش الذى قرأت عنه
فى الروايات . . . انى لا اعتبرها عاقلة ازاء فكرتها عن
شخصيتى التى كونتها لنفسها ، ولكنى اعتقد انها بدأت
تعرفنى أخيرا . . . وانا لم أكذب عليها مطلقا ، وأول
شئ رأتنى أفعله عند الخروج من المزرعة ، هو شنىق
كلبها الصغير ، ومع ذلك لم تبد أى استنزاز . . . أرجوك
يا نيللى أن تقول لسيدك انى لم أر فى حياتى شخصا
بمثل كآبة ايزابيلا ، انها تجلب العار حتى على عائلة
لنتون !

صرخت ايزابيلا :

- أنه يصرح بأنه تزوجنى عن عمد ليزداد قوة
على ادجار ، لكنه لن ينال ذلك ! وأمل أن ينسى حذره
الشيطانى ويقتلنى ! فالمتعة الوحيدة التى أستطيع أن
أعطيها هى أن أموت أو أراه ميتا !

فقال هينكليف بيرود :

- أرجوك يا نيللي أن تتذكري لغتها اذا استدعوك
للمشاهدة في ساحة القضاة ! .. وانظري جيدا الى
وجهها ، انها على وشك الانهيار . انك لست مسئولة
عن تصرفاتك يا ايزابيللا الآن ، وانا كزوجك المطيع
للقانون يجب أن أحفظك آمنة متماسكة .. اصعدى
الى غرفتك ، فلدى ما أقوله لنيللي على انفراد .

ودفع بها خارج الحجرة وتتم قائلا :

- ليس لدى شفقة ، ليس لدى شفقة ! فكلما
عانت الديدان ، رغبت في سحقها !

ونفضت لأذهب ، فقال لى :

- ففى ! .. تعالى هنا يا نيللي .. يجب أن أحثك
أو أجبرك على مساعدتى لرؤية كاترين . لا أرغب فى
أن اسبب أى ازعاج . سأنبهك عند قدومى ، وعليك
أن تخلينى دون أن يلاحظنى احد لأنفرد بها .

فاعترضت وجادلت ورفضت طلبه مرات عديدة
ولكن هيثكليف أجبرني أخيرا على الموافقة بأن أحصل
رسالة منه الى سيدتي ، فاذا رغبت مقابلته ، عليها أن
تحدد موعدا يكون فيها زوجها خارج البيت .

الفصل الخامس والعشرون

اللقاء

وعنه المساء ، لحث هيثكليف يحوم حول
المزرعة ، وتجنبنا الخروج ، لأننى ما زلت أحمل رسالته
فى جيبي . فلم أشأ أن أعطيها لها ، لأنى لم أستطع
أن أضمن مدى تأثيرها على سيدتى . ولذلك لم تصلها
الا بعد مرور ثلاثة أيام .

وفى اليوم الرابع ، وكان يوم أحد واحضرتها الى
جبرتها بعد ذهاب أهل المنزل الى الكنيسة .

وجلست كاترين فى فستانها الأبيض الفضفاض
عند النافذة المفتوحة كالمتأمل . . وكان شمرها الطويل

الكثيف ما زال بعضه منسدلا ببساطة فوق جبينها ورقبتها . . لقد تغير مظهرها . ولكن عندما تكون هادئة ، كان يبدو في الصغير جمالا غريبا . . فالوميض في عينيها حل محل الرقة الغامضة . . وشحوب وجهها ، والتعبير الغريب المنبعث عن حالتها الذهنية أضاف الى التأثير الذي تشع به . . ولكن هذه العلامات بالنسبة لي لم تكن الا علامات أكيدة بأن حلتها هو الموت العاجل .

وكانت اجراس كنيسة جيمرتون لا زالت تدق . . والتدفق المتخمل لجدول الماء الصغير بالوادي يأتي بحلاوة الى الأذان . . وكان يبدو على كاترين انها كانت تنصت الى خرير المياه . . لكن عينيها كانتا مستغرقتين في نظرات بعيدة حاملة . . !

وقلت لها بلطف :

- انني أحمل لك رسالة يجب أن تقرأها وتردى عليها بسرعة . هل أفضها لك ؟

فاجابت دون أن تغير من اتجاه نظرتها :

- أجل .

وفعلت ذلك ، أعطيتها لها لتقرأها ، فسحبت
يدها بعيدا ودعتها تسقط . فأعدتها الى ركبته ووقفت
منتظرة . واخيرا قلت لها :

— هل أقرأها لك ؟ أنها من السيد هيثكليف !

وهنا ظهر عليها الاضطراب وكأنها تحاول ان
تذكر وتصارع لترتيب افكارها . ورفعت الرسالة
وبدت وكأنها تقرأها ، وعندما جاءت الى الاسم في
الختام تنهت ومع ذلك فهمت أنها لم تدرك فحواها .
واشارت الى الاسم وثبتت عينها على بشغف فضولي
حزين . فقلت لها :

— انه يرغب في ان يراك . من المحتمل أن يكون
في الحديقة الآن ، فاقد الصبر ليعرف ردك .

ولاحظت ، أثناء حديثي ، أن الكلب الكبير الراقد
على النجيل في الشمس يحرك أذنيه ثم يسحبهما
للخلف برقة معبرا بحركة من ذينه عن أن شخصا
لا يعتبره غريبا يقترب منه . وانحنى كاترين الى الامام
وانصتت حابسة أنفاسها ..

وفى الدقيقة التالية سمعنا وقع خطوات فى
الصالة ، وبشفف لا يوصف وجهت كاترين عينيها نحو
مدخل حجرتها ، وقبل أن أستطيع الوصول الى الباب ،
كان هينكليف قد عثر عليه ، وفى لحظة كان بجوارها ،
وأخذها بين ذراعيه !

ولم يتكلم ولم يتركها من بين ذراعيه لمدة
دقائق ٠ ورايته يحتمل بالكاد حالة شديدة من اليأس
عندما نظر الى وجهها ، وشعر من اللحظة التى رآها
فيها بأنه لا أمل فى شفائها ٠٠ لقد تقرر قدرها ، كانت
متأكدة أنها تموت ٠٠ وكانت أول جملة يتفوه بها :
- آه يا كاتى ٠٠ آه يا حياتى ! كيف أتوصل
ذلك ؟

ونظر اليها بشفف حتى فكرت أن دموعه
ستسقط من عينيها ، لكنها احترقتا بالألم ، ولم
تذوبا ٠

فقلت كاترين وهى تستلقى معيدة نظره بأخرى
حائقة مبالغته :

— ما العمل ؟ انت وادجار قد حطمتا قلبي
يا هيثكليف ! والآن ياتي كلاكما مشفقا على وكانكما
من يحتاج المواساة ! لن أشفق عليكما .. لست أنا .
لقد قتلتماي .. كم من السنين ستميشها بعد ذهابي ؟
وكان هيثكليف قد ركع على احدى ركبتيه ،
وحاول ان ينهض ، لكنها امسكت بشعره وابقتة
راكما . واستمرت قائلة في عراوة :

— اود ان أقدر على التعلق بك ، حتى نموت
كلانا ؟ كان لا يجب ان اعبأ بمعانانك لماذا يجب الا
تعاني ؟ انني اعاني ! هل ستنساني ؟ هل ستكون
سميدا بعد ان اصبح تحت التراب ؟

فصرخ مخرورا وانه من قبضتها :

— لا تمنني في تعذيبى حتى أجن مثلك ! هل
يتلبسك الشيطان لتتكلمى هكذا وانت تموتين ؟ ..
هل تدركين ان كل هذه الكلمات ستحترق داخل
ذاكرتى ؟ انت تعرفين انى لم انسبب فى موتك ..
وتعرفين يا كاترين اننى استطيع ان أنساك فورا ، لو

نسيت وجودى ! اليس كافيا لانانيتك المملونة انه
بينما تكونين أنت فى سلام ساكون أنا بالوعتى فى
عذاب مقيم ١٩

وتتمت كاترين عاتلة للاحساس بالضعف من
قبل ضربات عنيفة غير منتظمة من قلبها :

- سوف لا آكون فى سلام !

ولم تزد القول حتى مرت الأزمة ، لم تسترح
قائلة بشكل أكثر عطفًا :

- انسى لا أود لك عذابا أكثر مما بهى ،
يا هيثكليف .. انى أود فقط ألا نفترق أبدا .. وإذا
تسببت ذكرى أية كلمة من كلمائى فى إيلامك فى
المستقبل فأعرف انى سأشعر بنفس الألم وأنا تحت
التراب .. ولأجل خاطرى المغرلى ! .. وتعال بالقرب
منى واركن بجانبى ثانية ! انك لم تسيء الى فى حياتك
مطلقا !

الفصل السادس والعشرون

لقد حطمت قلبك وقلبي !

ذهب هينكليف الى مؤخرة كرسيتها ، وانحنى عليها ولكنه لم يدعها ترى وجهه الذى كان فى شحوب الموتى ، والتفتت لتتنظر اليه ، ولكنه لم يسمح بذلك ، واستدار بسرعة ومشى الى المدفأة حيث وقف صامتا وظهره نحونا ، فنظرت كاترين نحوه فى ريبة ثم وجهت كلامها لى بصوت جريح :

- ترين يا نيللى ، انه لن يستسلم للحظة واحدة . وهكذا أتلقى الحب • حسن ، لا بأس • انه ليس بهينكليف الذى يخصنى •• اننى أحب من يخصنى ولن أكف عن حبه • ترى الن يكون بالقرب منى ؟!

واستحوت تقول لنفسها :

- ظننت انه يود ذلك • هيثكليف • يا غالى •
تعالى الى !!

وفى شغلها نهضت وتسانعت على ذراع الكرسي ،
والتفت اليها تلبية لهذا الطلب الجاد الذى كان باديا
عليها فى يأس مطلق • وبقيت للحظة بميدى من بعضهما
ثم لم أرهما كيف التقيا • • اذ بدت كاترين وكأنها
تقفز وأمسك هو بها فى عناق وكأنه لن يدعها تفلت
منه أبدا • واعتقدت ان سيدتى قد أصيبت باغماء ،
ولكن عندما اقتربت لأتحقق التفت الى وضعها اليه
أكثر وأكثر • • لذلك انتحيت جانبا • لا أدري ما
أفعل •

وخفت عنى بعض الشيء حركة من كاترين حين
أحاطت عنقه بيدها ووضعت خدها على خده • • وقال
هيثكليف :

- تعلمين كيف كنت قاسية • • قاسية ومضللة ؟
لماذا حزنت بى ؟ لماذا كنت لاتسمعين لقبلك يا كاتى ؟

.. لم أحصل منك على كلمة ملوى واحدة .. انك
 تستحقين هذا ! .. لقد قتلت نفسك . أجل ، يمكنك
 أن تقبليني وتبكيين وتجبريني على أن أفعل نفس
 الشيء .. انه عقابك . لقد أحببتني .. اذن فبأي
 حق تتركيني ؟ .. لأن البؤس والموت لم يستطيعا
 أن يفرقا بيننا ، وانت بحضى ارادتك فرقت بيننا ! ..
 أنا لم أحطم قلبك .. لقد حطمته أنت وحطمت قلبي
 معه ! .. أن الجزء الذي مني هو الذي يبدو قويا
 أمامك .. هل أرغب في العيش ؟ هل ترغبين في
 العيش وروحك في القبر ؟

فقالت كاترين باكية :

- دعني وحدي ، ان كنت قد اخطأت ، فهانذا
 أموت جزاء فعلى .. لقد تركتني أنت أيضا ، ولكنني
 أسامحك ، فسامحني !
 - أنه صعب ، ولكنني أسامحك برغم ما فعلته
 بي ، فانا أحب قاتلتني ، ولكن قاتلك ! كيف يمكنني
 أن أسامحه ؟

مرت لحظات والصمت مخيم عليهما ، وقد اختفى وجه كل منهما في وجه الآخر ، وامتزجت دموعهما سويا ، وبدأت أشعر بالقلق فالوقت يمضي بسرعة .. واستطعت أن أرى جماهير المصلين وهي تخرج من الكنيسة ، فقلت :

— لقد انتهت الصلاة ، وسيحضر سيدي من الكنيسة بعد نصف ساعة !

فزجر هيثكليف بلعنة ، وضم كاترين اليه أكثر ، ولم تحرك هي ساكنا ..

وفي الحال شاهدت مجموعة من الخدم قادمين في الطريق ، ثم فتح اذجار البوابة ومشى مستمتعا بشمس ما بعد الظهر . فصرخت قائلة :

— ها قد وصل السيد لنتون !

فقال هيثكليف :

— يجب أن اذهب يا كاتي ، ولكنني سأراك ثانية قبل ان تنامي . اننى سأبقى قريبا من نافذتك .

فاجابت مصسكة به على قدر ما سمحت به قوتها :

- لا يجب أن تذهب !

فرجاها قائلا :

- ساعة واحدة فقط !

فاجابت :

- ولا دقيقة واحدة •

- لا بد أن أرحل ، فادجار سيأتى فى الحال '

وحاول النهوض ولكنها تعلقت به بعناد جنونى

وهى تقول :

- لا ! لا ترحل • انها المرة الأخيرة !

فتحتم هيكليف بلعنة على ادجار وغاص فى

جلسته ثانية •

- سبقى يا حبيبتى ، فاهدنى ! واذا قتلنى ،

فساموت والرضا مرسوم على شفتى •

وصحمت سيدي صاعدا السلم • فصرخت :

— انها لا تدري ما تقول ! هل ستحطمها لأنها
لا تمي مصلحتها ؟ انهض ! كفانا ما نحن فيه •

واسرع السيد ادجار في خطواته عند سماع
كلامنا • ورأيت ذراعي كاترين قد سقطتا ورأسها
تدلى • فقلت لنفسى :

— هل غابت عن الوعي ، أم ماتت ؟

وهجم ادجار على ضيفه غير المدعو شاحبا من
الدعشة والغضب ، ولكن الآخر استوقفه في الحال ،
واضعا جسدها الهامد بين ذراعيه قائلا :

— ان لم تكن شيطاننا فساعدنا أولا • • ومن ثم
تحدث ممي •

ومشى الى حجرة الجلوس ، وناداني ادجار
واستعادت كاترين وعيها بعد أن بذلنا أقصى جهدنا ،
رغم أنها لم تتعرف على أى واحد منا ، ونسى ادجار في
غمرة قلقه صديقها الذي يكرهه • فطلبت من هيثكليف

فى أول فرصة أن يغادر المنزل قائلة أنها فى حالة أفضل
وأنتى سأوافيه بأخبارها فى الصباح التالى ، فقال :
- سانتظر فى الحديقة يا نيللى ، وإن لم تق
بكلمتك فساقوم بزيارة أخرى سواء كان ادجار موجودا
أم لا ٠٠ ١

الفصل السابع والعشرون

فلا تنعمي بالراحة !

في الساعة الثانية عشرة مساءً ولدت كاترين الثانية .. طفلة هزيلة استمر حملها سبعة شهور فقط .. وبعد ساعتين من ولادتها نوبت الأم قبل ان تستميد وعيها لتتفقد هينكلف أو لسعوف على ادجار . كان من المولم رؤية حزن زوجها الذي زاده احساسه بان زوجته قد رحلت دون ان تنجب له وريثا ذكرًا .. وعند طلوع الشمس خرجت لأبحث عن هينكلف وانا خائفة في نفس الوقت . كان متكئا على جذع شجرة ، خالما قبته وكان شعره مبللا بندى الصباح .
القال :

- لقد ماتت ، اننى لم أنتظرك حتى أعلم ذلك •
 - ابعدى منديك ، انها ليست بحاجة لدموعك •
- كيف ٠٠ ١٩

وقاوم حزنه رافضا مواساتى بحمقة رهيبة
واكمل سؤاله :

• كيف ماتت ؟

فقلت لى نفسى :

- يا تعيس يا مسكين •• ان لديك قلبا
- واحاسيس كالآخرين !

ثم اجبته بصوت مسجوع :

• ماتت بهدوء كالحمل الوديع !

• و ••• هل ذكرتنى ؟

- انها لم تستمد وعيها ولم تتعرف على أحد منذ
- ان غادرتها أنت •• كانت ترقد والابتسامة الحلوة

مرتسمة على شفيتها ، وكانت أفكارها الأخيرة تهيم
عائدة بها لأيام طفولتها الجميلة .

فصرخ فى عنف مخيف :

- فلترقب العذاب ! لماذا هي كاذبة حتى النهاية !
صادعو دعاء واحدا .. رآكرره حتى يتنبس لسانى !
يا كاترين ايرنشو لا تمنى بالراحة طالما أنا حي ؟ لقد
قلت اننى قتلتك فلتتلبسنى روحك اذن ! كونى معى
ولازمينى دائما اتخذى أى شكل - ادفى بى الى الجنون
.. فقط لا تتركينى الى حيث لا أستطيع أن أجذك !
يا الهى ، انى لا أستطيع أن أحيأ بدون حياتى !

وضرب رأسه بجذع الشجرة لا كانسان بل
كحيوان ضار . ولحظة ما استعاد وعيه ولاحظنى ..
وأمرنى بأن أتركه ، فاطمته .

تم تحديد موعد جنازة كاترين يوم الجمعة التالى
لوفاتها ، وظل تابوتها مفتوحا فى الصالة الكبرى

بالطابق السفلى • وقضى ادجار أيامه ولياليه هناك ،
حارسا لا ينام ، بينما هيثكليف ، كما أعلم • يرقب
بلا نوم أيضا فى الخارج •

وفى مساء يوم الثلاثاء ، عندما ذهب ادجار
ليرتاح ساعة أو ساعتين من اثر ارهاق المراقبة ، قمت
بفتح احدى النوافذ لأنرك المجال لهيثكليف ليلقى نظرة
الوداع الأخيرة !

وهذا ما فعله فى سكون ، عرفت ذلك ، عندما
لاحظت ، فيما بعد ، خصلة شعر أشقر على الأرض
منزوعة من العلبة الذهبية الصغيرة التى على شكل
قلب المعلقة بسلسلة حول رقبة كاترين • كانت من
شعر زوجها ، وقام هيثكليف بالقاءها خارج العلبة
واضعها محلها خصلة من شعره الأسود ، فلويت
الحصانين ووضعتهما سويا داخل العلبة •

ودعونا السيد هندل للاشتراك فى جنازة
شقيقته ، لكنه لم يحضر ، أما ايزابيلا فلم ندعها •

وتم دفن كاترين ، والذي ادهش سكان القرية.
انها لم تدفن داخل الكنيسة مع عائلة لنتون ولا
خارجها مع اقاربها . بل حفروا قبرها على رابية
خضراء منحدره عند منعطف فناء الكنيسة حيث كان
الجدار منخفضا لدرجة أن النباتات البرية تسلفت
عليه من كل ناحية . .

الفصل الثامن والعشرون

هندي يخطط للانتقام

كان يوم الجمعة هذا آخر يوم للطقس الجميل الذي استمر شهرا ، وفي المساء تغير الطقس ، وجاءت الرياح بالمطر أولا ثم بالجليد وبدأ وكان الشتاء قد عاد .. بقي سيدي في غرفته طوال اليوم التالي . وكنت في حجرة الجلوس المنزلة والطفلة الصغيرة تبكي على ركبتي ، عندما فتح الباب فجأة ، ودخل أحدهم ، وكانت ايزابيلا هيثكليف ، لاهة ضاحكة .. وتقدمت نحو المذلة وقالت :

— لقد ركضت الطريق كله من مرتفعات وذرينج

الى هنا . لا تنزعجى ! .. سأشرح لك فيما بعد ،
ارجوك فقط أن تطلبى عربة توصلى الى جيمرتون
وبلنى احدى الخدم أن تحضر لى بعض ملابسى .

انسدل شعرها على كتفها مبتلا بالجليد ومياه
المطر . كانت ترتدى فستانها الحريري الذى اعتادت
أن ترتديه وهى بنت ، والذى يتناسب مع سنها لا
وضمها كسيدة متزوجة . وكان الماء يتساقط منه ،
ولمحت جرحا عميقا أسفل اذنها وكدمات فى وجهها .

وعندما قمت بتضميد جرحها وساعدتها فى
استبدال ملابسها وأجلستها بجوار المدفأة مع فنجان
الشاي الذى أعدته لها ، بدأت تتكلم ، ولكنها رجتنى
أولا أن أبعد ابنة كاترين ، وقالت :

— لا أحب أن أراها ! لا تظنى اننى اكره كاترين ،
لأنى اتصرف كالحقأ منذ دخولى .. لقد بكيت عليها
بمرارة ، لكننى لم أرغب فى مواساة هيثكليف ..

ثم خلعت خاتم الزواج من اصبعها ، والقت به
فى النار بطريقة طفولية وهى تقول :

- ان هذا هو آخر ما يربطني به .. ان الضرورة
اجبرتني على العودة الى هنا ، فلا ملجأ لي غيره ، لكنني
لن أمكث طويلا اذ ان هيثكليف لاشك سيأتني للبحث
عني ، ليضايق ادجار .. بالاضافة الى ان ادجار لم
يكن عطوفا ، اليس كذلك؟ انني لم آت لاطلب المساعدة
ولن أجلب له مزيدا من المشاكل .. ان هيثكليف يكره
رؤيتي ، واني على يقين أنه لن يلاحقني عبر انجلترا
اذا تمكنت من الهروب ، لذلك يجب ان اذهب من
هنا حالا !

فسالتها ما الذي دفع بها ان تأتي هاربة من
مرتفعات وذرينج بهذا الشكل .

فاجابت :

كنت مضطرة لذلك ، لانني نجحت في اثارة
غضبه فوق طاقة حذره ، فمنذ الأحد الماضي لم يتناول
أية وجبة طعام معنا . وكان يخرج كل ليلة ويعود
للبيت في الصباح الباكر ، ويحبس نفسه في غرفته ،
ورغم أن الأمي على كاترين يعتصرني ، الا أنني استمتعت

بالاصبوع كله كمطلة ، فاستطعت أن اتحرك بحرية في المنزل ، واجلس في هدوء وطمأنينة بجانب المدفأة .
 وليلة البارحة بقيت اقرأ الى ساعة متأخرة ،
 وهندل الذي لم يكن مخمورا كمادته يجلس لباتي
 ورأسه بين يديه . وهو احدا حاليا عما قبل ، اذا لم
 يضايقه احد ، وعكر هذا السكون صوت هيثكليف عند
 باب المطبخ ، اعتقد أنه عاد مبكرا بسبب سوء حالة
 الطقس ، وكان الباب مقفلا ، فاستدار هندي نحوي
 وقال :

— سابقيه في الخارج لمدة خمس دقائق ، فلدينا
 أنت وأنا حساب نسويه مع هذا الرجل . هل أنت
 هشة مثل شقيقك ؟ هل متقاسمين حتى النهاية دون ان
 تنتقمى ؟!

فاجبته :

— لقد تعبت ، وسأكون سعيدة بالانتقام منه ،
 لكن العنف والقدر يصيب من يستخدمهما .

- سأطلب منك ألا تفعل شيئا ، مجرد أن تجلسي هادئة صامتة . أعديني أن تحبسي لسانك في فمك ، وقبل أن تدق هذه الساعة - انها الواحدة الا ثلاث دقائق - مستصبحين حرة !

وسحب من داخل سترته المسدس المثبت فيه السكين ذو الحدين ، الذي رأيته من قبل ، وحاول اطفاء الشسعة ، فبمته وامسكت بلواحه وقلت :

- سأصرخ ، لا تحاول أن تؤذي يا هندل ، والزم الهدوء !

- لقد عقدت العزم ، وحان الوقت لأضع حدا لتصرفاته !

لم يكن من المجدى أن أقاومه ، كل ما استطعت عمله هو أنني هرعت لأفتح النافذة ، وصرخت وأنا أشعر بشئ من الابتهاج :

- من الأفضل أن تجد لك مكانا آخر تاوي اليه ، فالسيد هندل ينوى قتلك !

ولكن هيثكليف امرنى أن أفتح الباب وشتمنى
متوعدا ، فأغلقت النافذة وعدت مكانى بجانب المدفأة .
فشتمنى هندلى أيضا قائلا اننى لازلت أحب الشيطان !

وضرب هيثكليف النافذة ، فكسرها وادخل
وجهه الأسمر الفاضب من بين القضبان الحديدية ،
ولكنه لم يتمكن من الدخول ، فابتسمت وأنا اعتقد
انى فى مأمن . وعاد فامرنى قائلا :

— ايزابيللا ، افتحي الباب !

— لا يمكننى أن ارتكب جريمة قتل . ان هندلى
ينتظرك بمسدس وسكين فى يده ، وجبك المسكين
لا يحمل رذاذ الجليد ، هيثكليف . لو كنت مكانك ،
لذهبت وتمددت فوق قبرها لأموت ككلب وفى !

ووقفت بلا حراك من الرعب نتيجة للكلماتى
المهينة ، عندما انقض هيثكليف وخطف السلاح من
هندلى ، فانطلق المسدس وارقد السكين فأصاب معصم
حامله وانتزعه هيثكليف بعنف . ١١

الفصل التاسع والعشرون

ايزابيللا تهرب

وقع هندي على الأرض فاقد الوعي والدم يسيل
من جرح بالغ بذراعه . وركله هيثكليف برجله
وأمسك بي باحدى يديه يمنعني من احضار
يوسف . وفي النهاية سحب جسده الخائر الذي
لاحرك فيه ، وارقدته على احدى المقاعد وراح يضمد له
جرحه بخشونة قاسية ، وعندئذ انتهزت الفرصة
وذهبت أبحث عن الخادم المجوز . وصاح هيثكليف
في يوسف الذي جاء مسرعا :

— أن سيديك مجنون ، واذا ظل حيا شهرا

آخر فساوصى بوضعه فى مستشفى المجانين • نظف
هذا ..

وضرب يوسف على ركبتيه اللتين كانتا فى
وسط الدم ، واستدار الى وقال :

- وانت أيضا ستقومين بالمساعدة • أتلقين الى
جانبه ضدى .. اهكذا ؟

وهزنى بعنف • وأخيرا ، عاد هندلى 4
وأخذ هيثكليف يلقى عليه اللوم لتعاطيه
ونصحه أن يذهب الى فراشه ليسترىح •

وفى الصباح ، عندما نزلت الى الطابق السفلى
وجدت هندلى جالسا بجانب المدفأة وعلامات المرض
بادية عليه ، وعدوه يبدو عليه نفس الشيء تقريبا
متكئا على المدخنة .. لم ينظر هيثكليف نحوى ،
كانت عيناه متعبتين من قلة النوم ومن البكاء وكانت
شفته مضمومتين على تعبير حزن لا يمكن أن يوصف
.. لو كان شخصا غيره لفطيت وجهى عند مشاهدة

هذا الحزن ، أما في حالته هو ، فلقد شعرت بالغبطة .
اذ لا أريد أن أفقد هذه الفرصة وهو يفاسى الماء .

أراد هندلي بعض الماء ، فناولته كوبا وسألته
عن حاله ، فأجاب :

- لست مريضا كما أرغب ، لكن بالاضافة
الى ذراعى ، فكل جزء من جسمي يؤلمنى .

- لقد ركلك عدوك ليلة أمس والقى بك على
الأرض ، ألم يكفه قتله لشقيقتك ؟!

ثم واصلت حديثي قائلة بصوت أعلى :

- ففي المزرعة ، الجميع يدركون بأنه لولا
السيد هينكليف لكنت كاترين مازالت على قيد
الحياة !

أثارت كلمائى انبساط هينكليف وراح يبكى
وأخذت أضحك ، ثم قال لى :
- اغربى عن وجهى !

فواصلت حديثي قائلة :

- لو أن كاترين المسكينة وضمت ثقتها بك وقبلت أن تنزل درجة وتزوجك ، لوصلت حالتها كحالة أخيهما ، وما كانت تحملت تصرفك المخزي بهدوء !

وهنا قام هيثكليف بحركة فجائية ، والتقط سكين طعام من على المائدة ، والقي بها على راسي ، فأصابتنى أسفل أذني .. وأوقفت الكلمات التي كنت على وشك أن اتفوه بها . فقفزت نحو الباب . وكان آخر منظر له في مخيلتي هو اندفاعه الغاضب ليلحق بي ، وهندلي يمنعه ، ثم وقوعهما سسويا على الأرض .. وركضت عبر المطبخ متعثرة في هيرتون ثم هربت هابطة الطريق المنحدر ومنه عبر المستنقعات متخطية الضفاف شاقة طريقى بصعوبة بالغة بين برك الماء قاصدة المزرعة .. الملجأ المبارك ! .. وياليتني أعيش عمري كله هنا في عذاب ، عن أن أبيت تحت سقف مرتفعات وذرينج ليلة واحدة مرة أخرى .

وانهت ايزابيلا قصتها وتناولت فنجانا من
الشاي ، ثم نهضت دون أن تمر اقتاعى ببقائها ساعة
أخرى أى انتباه ، وصعدت على كرسى وقبلت صورة
لادجار وصورة لكاترين كانتا معلقتين على الحائط ،
ثم فعلت معى نفس الشيء ، ثم نزلت الى العربية .

وغادرت ايزابيلا المزرعة الى غير عودة ، ولكن
عندما استقرت الأمور ، أخذت تتبادل الرسائل مع
أخيها ، واعتقد أنها سكنت فى الجنوب قرب لندن .
وبعد بضع شهور وضعت هناك طفلا أطلقت عليه اسم
لنتون ، وكان طفلا ضعيفا متفمرا منذ ولادته .

وقابلنى هيثكليف ذات يوم بالقرية وسألنى عن
مكان اقامتها ، ورفضت أن أخبره ، ولكنه توصل ،
عن طريق بعض الخدم ، الى مكان اقامتها ، والى العلم
بولادة الطفل . وتركها فى حالها ، رغم استفساره
دائما عن حال الطفل .. وكان يقول :

— سأحصل عليه وقتما أريد !

ولحسن الحظ ، توفيت الأم قبل أن يأتى هذا
الوقت ..

الفصل الثلاثون

هينكليف سيدا حقا

أما سيدي ادجار فلقد تسبب الحزن ،
وكراهيته في الذهاب الى أى مكان قد يقابل فيه
هينكليف ، الى أن يعيش حياة منعزلة . وتفادى
الذهاب الى القرية حتى فى المناسبات ، وبقي لايفارق
حدود أرضه الا ليمشى بنفسه قرب المستنقعات
وليزور قبر زوجته . ومع ذلك ، فالزمن تكفل بتضميد
الجراح بمساعدة ابنته الصغيرة ، التى غدت مليكة
قلبه ، والتى كان اسمها كاترين ولكنه لم ينادها
مطلقا الا بكاتنى ، ليميز بينها وبين أمها .
أما هندل ، فنهايته كانت كما توقضا ، فلقد

توفى بعد ستة أشهر من وفاة شقيقته ، ولم أصدق
أنه كان آنذاك فى السابعة والعشرين من عمره فقط !

• وطلبت من السيد اذجار أن يسمح لى بالذهاب
الى مرتفعات وذرنيج لأساعد فى الواجبات الأخيرة
تجاه المتوفى ، فلم يوافق ، فحدثته عن حالة هندلى
الذى بلا صديق وقلت أن لسيدى القديم على حق مثله
تماما ، بالإضافة الى أنى ذكرته بأن الطفل هيرتون
هو ابن أخ زوجته وعليه أن يقوم بدور الوصى عليه ،
وأن يستوضح عما بقى من ممتلكات شقيق زوجته .
فطلب منى أن اتحدث مع السيد جرين المحامى ،
وسمح لى أخيرا بالذهاب .

كان السيد جرين محاميا لهندلى أيضا ، وذهبت
للقرية لزيارته وطلبت منه أن يأتى معى ، ففزع رأسه
ونصحنى أن نترك لهيشكليف الأمر . . وقال اذا
عرفت الحقيقة لوجدت أن حالة هيرتون تفوق حالة
شحاذ . **وقال :**

— لقد توفى أبوه مديونا وجميع ممتلكاته

مرهونة ، والفرصة الوحيدة للورث الطبيعي هي في
تهيئة الجو له في استرحام قلب مالك الرهن حتى
يشمر بالرغبة في التعامل معه بشكل كريم .

وعندما وصلت المرتفعات أبدى يوسف فرحه
لرؤيتي ، وقال هيثكليف أنه لا يعتبر حضوري
ضروريا . ولكن طالما انني حضرت فعلى أن ابقى وأرتب
للجنازة اذا رغبت . **وقال :**

— لقد أغلق ، الأحق ، أبواب القصر بالأمس
ليمنعني من الدخول ، وأمضى ليلته وهو يصب الخمر
حتى الموت . وفي الصباح تمكننا يوسف وأنا من
الدخول ووجدناه قد فارق الحياة ولا أمل في انقاذه .

وأصررت على أن تكون الجنازة محترمة .
وتركتني هيثكليف أفعل ما أريد لكنه ذكرني محذرا
بأن المال الذي سيصرف على كل شيء هو من جيبه
الخاص . وكان سلوكه جامدا لامبال طوال الوقت ،
ولا يبدو عليه الفرح ولا الأسى ، ولكنني لاحظت
ما يشبه البهجة بادية على وجهه .

وعندما كان على وشك أن يسير وراء التابوت
عند خروجه من المنزل ، رفع بهيرتون سـه الحظ
ووضعه على المائدة وتمتم في هتعة غريبة :

- والآن أنت ولدى ، يا طفل الجبيل ! وسنرى،
هل ستتمو هذه الشجرة ملتوية كالأخرى اذا كانت
تحت رحمة نفس الرياح !

وفرح الطفل البرى، ولامس خده بولع ، ولكنى
أدركت معنى كلماته ، فقلت :

- ساصطحب الطفل معى الى مزرعة تراش
كروس .

- هل طلب منك لتتو ذلك ؟

- بالطبع .. لقد أمرنى باصطحابه .

- حسن ، أخبرى مسـيدك بأننى احب أن
أجرب مهارتى فى تربية طفل ما ، لذا لوحاول أن
ينتزع منى هذا ، فعمل أن استميض بابنتى مكانه .

كان هذا التهديد ، بطفلة ايزابيللا كافيا بتقييد
أيدينا . وبعد أن كان ادجار لنتون مهتما بعض الشيء
فى البداية ، فلم يبد أى استعداد للتدخل .

وأصبح الضيف الآن سيد مرتفعات وذرينج .
كان مركزه قويا وقدم للمحامى الاثباتات الكاملة بأن
هنسلى قد رهن له كل شبر من الأرض التى كان
يملكها للحصول على المال لارضاء غرامة الجنونى
للمقامرة .

وبهذه الطريقة ، أصبح هيرتون ، الذى بدلا من
أن يكون السيد الأول فى المنطقة ، فى حالة استسلام
ورضوخ تام لمدو والده ، ويعيش فى قصره كخادم
بلا أجر ، عاجزا عن مساعدة نفسه ، لأنه بلا صديق
ولأنه يجهل كونه مظلوما .

الجزء الثاني
كاترين الثانية
أو
شجرة الانتقام تنمو

(١٧٨١ - ١٨٠١)

ترويعا السيدة ايلين (نيلز) دين

الفصل العاوى والثلاثون

كاتى تغادر القصر

مرت اثنتا عشرة سنة كانت من أسعد أيام حياتى .
وكان اهتمامى الأكبر هو كاتى الصغيرة التى مرت
بمشاكل الطفولة العادية بسلام . واستطاعت المشى
والكلام بطريقتها الخاصة قبل ازدهار النباتات البرية
فى الصيف الثانى على مقبرة أمها . كانت الشئ
الساحر الوحيد الذى أضاع هذا البيت الحزين .

مرتفعات - ١٩٣

وكان الجمال الحقيقي في وجهها مع عيون عائلة
ايرنشو السوداء وبياض بشرة عائلة لنتون وشعرهم
الاشقر ، وكانت روحها مريحة وقلبها رقيقا محبا ..
طبعاً كان لها عيوبها ، فهي مدله كاية طفلة تريد أن
تفعل ما تريد . ولقد تولى أبوها تربيتها ولم يعاملها
الا أطيب معاملة . وحسب الاستطلاع والذكاء اللماح
جلا منها تلميذة نجبية ..

ولم تغادر بمفردها قط ما وراء حديقة القصر
حتى وصلت سن الثالثة عشرة .. وكان والدها
يصطحبها في بعض المناسبات لنزعة بسيطة بالمنطقة ،
لكنها لم تذهب الى القرية مطلقا والمبنى الوحيد الذي
دخلته غير بيتها هو الكنيسة . أما بالنسبة لمرتفعات
وذرينج وهيثكليف ، فلم تكن على علم بهما .

ورغم أنها كانت قنوعة بحياتها المستكنة ،
الا أنها كانت ترنو أحيانا من نافذتها بالطابق العلوى
وتقول :

- متى يمكننى أن أسير فوق تلك التلال
يانيللى ؟ كيف تبدو هذه الصخور عن قرب ؟

ولقد أخبرتها إحدى الخادعات عن الكهف
المدعش في هذه الصخور . فآخذت تستعطف أياها
لتذهب الى هناك . ولقد وعدا بذلك عندما تكبر .
ولكن الأنسة كاتى كانت تقيس عمرها بالشهور
لا بالسنين . لذلك كانت تكرر طلبها هذا باستمرار
.. وكان الطريق الى هذه الصخور يمر بجوار
مرتفعات وذرينج . ولم يكن ادجار يحتمل أن يمر
أمام هذا المكان . لذلك استمر في الرفض
والتسويق ..

كانت عائلة لنتون رقيقة بطبيعة الحال . لقد
عاشت ايزابيلا اثنتا عشرة سنة فقط بعد تركها
لزوجها . وقد أرسلت عند مرضها الأخير الى ادجار
تستعطفه أن يحضر اليها لتودعه ولتسلمه ابنها
ليبقى معه في امان . وكان أملها أن يعيش الولد
معه حيث أن الأب لا يبدى أى اهتمام .

ورغم أن سيدى لم يكن يحب مفاددة البيت ،
الا أنه لم يتردد للحظة . وسافر في الحال تاركا كاتى

التي أعطيتها لها ، وأخذت تضحك عندما طلبت منها
الا تتأخر .

ولم تظهر البنت الشقية على موعد تناول
الشاي . وعاد مسافر واحد ، الا وهو الكلب المجوز ،
ولكن لا أثر لكاتى ولا لجوادها ، فأرسلت الخدم
ليبحثوا عنها فى جميع الاتجاهات . وأخيرا خرجت
بنفسى .

فالتقيت بأحد العمال منهمكا فى تشييد أحد
الأموار بالقرب من المزرعة . فسألته ان كان قد
راى سيدتنا الصغيرة ، فأجابنى :

- لقد رأيتها فى الصباح وهى تتغز بجوادها
من فوق السياج . . من هنا . . ثم غابت عن نظرى . .

الفصل الثاني والثلاثون

الزيارة الأولى للمرتفعات

جال فوراً في خاطري أن كاتى لابد أن تكون قد ذهبت الى الصخور ، فنفتت من ثغرة كان يقوم الرجل باصلاحها ، ورحت أسير ميلاً بعد ميل الى أن أصبحت قريبة من المرتفعات ، ولكننى لم أعثر لها على اثر .. كانت الصخور تقف على بعد ميل ونصف خلف المرتفعات ، وبدأت أخشى حلول الظلام قبل الوصول إليها ، وبدأت أفكر :

— ترى هل انزلت وهي تتسلق فأصابها مكروه ؟
كان قلقي عليها مؤلماً ، وسررت جداً عندما رأيت ،
وأنا أركض مارة ببيت المزرعة بمرتفعات وذرينج ،

كلبنا الشرس راقدا تحت إحدى النوافذ بأذن دامية ،
ففتحت البوابة وقرعت الباب بعنف ، فأجابته امرأة ،
عرفتها ، حيث كانت تعمل خادمة بالمرتفعات منذ وفاة
هنغل :

— آه ! لابد أنك جئت تبحثين عن الأنسة الصغيرة
.. لا تخافي ، انها هنا في أمان . الحمد لله فلننتك
السيد .

فسالتها :

— أليس موجودا بالبيت ، إذن ؟

— كلا ، كلا ، انه لا يعود في مثل هذا الوقت ،
ربما بعد ساعة أو أكثر .. ادخلي واستريحى قليلا .

دخلت ، ووجدت حملى الوديع كاتى جالسة بجوار
المدفأة على مقعد صغير ، كان فيما مضى لوالدتها وهى
طفلة . وكانت قبعتها معلقة على الحائط وبنت وكانها
فى بيتها تماما ، تضحك وتتكلم مع هيرتون ، وهى فى
منتهى السعادة .. وكان قد بلغ الثامنة عشرة من عمره

قوى البنية ... وينظر اليها متطلعا باندهاش
وفضول . فقلت وانا احاول اخفاء سرورى خلف نظرة
لغاضية :

— ان تصرفك قد اقلقنى يا آنستى . هذه آخر
مرة تفادرين فيها البيت الى ان يعود والدك . لن اثق
فيك ثانية يا بنت ياشقية ! ارتدى هذه القبعة وهيا الى
البيت فى الحال !

فقلت وهى تنخرط فى البكاء :

— ماذا فعلت ؟ ان ابى لا يحدثنى بهذه اللهجة
القاسية . انه افضل منك يا نبلى .

فتدخلت الخادمة قائلة :

— كلا ، خفى من غضبك على الانسة الجميلة
يامسر دين . نحن الذين اوقفناها . لقد ارادت ان
تعود خوفا على قلقك ، لكن هيرتون عرض ان يذهب
معهما ووافقته على ذلك حيث ان الطريق وعمر ..

ولم اكثرت لحديث الخادمة وتابعت حديثي
قائلة :

- الى متى تركينى انتظر ؟ سيخيم الظلام بعد
عشرة دقائق !

والتقطت قبعتها ، واقتربت منها لأضعها على
رأسها ، ولكنها ، رأت أهل المنزل فى جانبها فراحت
ترقص وتركض حول الغرفة ، ولما طاردها بدأت
تركض كالغار من فوق وتحت وخلف الأثاث . وبدأ
هيرتون والمرأة يضحكان ثم انضمت هى اليهما وهى
تهزل بى بصورة مازحة الى أن صرخت بها فى ضيق :
- آنسة كاتى ، لو كنت تعرفين بيت من أنت ،
لأسرعت بالخروج !

فاستلمت نحو هيرتون وسألته :

- انه بيت ابيك ، اليس كذلك ؟

فاجاب متلعثما :

- كلا ..

— بيت من اذن ؟ سيدك ؟

فاحمر وجهه ولم يحسر جوابا وولى مبتعدا .
فقال لي بطريقة شقية :

— لقد اعتقدت أنه ابن صاحب البيت . كان
يقول « بيتنا » « منزلنا » ولم يناديني بأنة ، اذ كان
يجب عليه ذلك لو كان من الخدم . اليس كذلك ؟
واسود لون هيرتون واصبح كسحابة راعدة .
فالتفت نحوه وقالت :

— احضر لي جوادى ، ويمكنك ان تاتى معى . .
اسرع ! ماذا بك ؟

فقال لها الفتى متذمرا لاعنا بأنه ليس بخادم لها .
ولم تصدق كاتى ما سمعته وهى « الملكة »
و « الحبيبة » فى البيت دائما ، فكيف تسمع من
يلعنها ! فصرخت :

— مسز الين ، كيف يسمح لنفسه ان يكلمنى
هكذا ؟ ساخبر والدى عما قلته ايها الشرير !

لم يكثرث هيرتون بهذا التهديد ، فأغرورقت
عينها بالدموع ، وقالت موجهة كلامها للخادمة :
- انت .. احضرى لى جوادى .

فاجابتها الخادمة :

- هدئى من روعك يا آنسة ، لن تخسرى شيئا
لو تحدثت بشكل مهذب ... فالسيد هيرتون ابن
خالك ، وانا لست خادمتك الخاصة .

فقالت كاتى وهى تضحك فى استخفاف :

- ابن خالى ؟ لماذا ، لقد ذهب والدى الى لندن
ليحضر ابن عمى وهذا ابن ...

وتولف الكلام فى حلقها وراحت تبكى .

لقد انزعجت منها ومن الخادمة لما كشفاه من
اسرار . فلا شك أن قدوم ابن ايزابيللا المنتظر ،
سوف ينقل الى السيد هيثكليف ، كما تاكدت أن اول
سؤال لكاتى عند عودته والدها سيكون عن تفسير صلة
قربة هيرتون .

واستعداد هيرتون هدمه بعد أن أسامت فهمه
وعاملته كخادم ، ويبدو أنه تأثر لضيقها ، فاحضر
جوادها الى الباب . ولكن يرضيها ناولها كلبا صغيرا
جميلا أتى به معه من الاسطبل ، وطلب منها أن تكف
عن البكاء حيث أنه لم يقصد أية اسامة لها . فتوقفت
عن بكائها ، ونظرت اليه فى فزع . . ثم عادت الى
ما كانت عليه ثانية .

وقاومت الابتسامة بصعوبة وهى تشيح بوجهها
عن الفتى المسكين الذى كان يبدو حسن المنظر ، جميل
القد ، قويا ، نشيطا رغم أنه يرتدى ملابس تتلام مع
عمله اليومي فى المزرعة ، وشمرت بأن لديه خصالا
أفضل مما لدى أبيه . بعد ملاحظتى له ولطبيعته
الشجاعة .

وتخيلت أن السيد هيثكليف لم يتسبب فى أى
أذى نحوه ، وأنه وجه كل طاقاته لابقاء الفتى بعيدا
عن المدينة ، فلم يعلمه مطلقا القراءة والكتابة ، ولم
يهذب له أية عادة سيئة ولم يلقيه أية عادة طيبة !

رفضت الأنسة كاتى عرضة السلمي للكلب الصغير وشرعنا للعودة الى البيت . ولم أستطع أن اكتشف من أنسى الصغيرة كيف قضت يومها ، الا بانها كانت متجهة الى الصخور عندما مرت ببوابة بيت مزرعة مرتفعات وذرينج حيث خرج هيرتون وهاجمتها كلابه . ودارت معركة بينهم قبل أن يستطيع هيرتون ابتعادهم عنها ، وخلق هذا فرصة للنعاف ، وسالته كاتى عن الطريق الى الصخور فأخذها الى هناك وأطمعها على الكهف .

وأصبح هيرتون معززا الى أن جرحت شعوره . وحاولت اقناعها ان لا تذكر ما حدث لوالدها ، وبينت لها أنه يعترض على كل من بمرتفعات وذرينج ، وبأنه سيشتمر بالأسف اذا سمع بانها كانت هناك ، وربما اذا أخبرته باننى أهملت أوامره فسيغضب ويجعلنى المغادر البيت . . ولم تكن كاتى تقدر على تحمل فراقى ، لذلك وعدتنى بالصمت . . ولقد أوفت بكلمتها ، فهى فوق كل شيء ، فتاة صغيرة حلوة الخصال . .

الفصل الثالث والثلاثون

هيشكيليف يطالب بابنه

وصلتني رسالة موشاة بالأسود يعلن فيها سيدي
عن موعد عودته بعد وفاة ايزابيللا ، وطلب مني أن
أجهز غرفة لابن اخته .. وكانت كاني تطير من الفرح
لاستقبال والدها وهو عائد ومعه ابن عمتها .

وجاء اليوم ، ولم تطق آنستي الصغيرة صبرا ،
فجعلتني أعبر الحديقة كلها للقائهم .. وظهرت
العربة أخيرا ، فصرخت كاني ورفعت بذراعيها عاليا
عندما وقع نظرها على وجه أبيها مطلا من نافذة العربة ،
ونزل والدها في لهفة كلفتها .. وانساء تبادلهما

القبيلات ألقيت نظرة على لنتون الصغير الذى كان نائما
فى ركن العربة ، ملفوفا فى الفراش ، وكأننا فى فصل
الشتاء . . . كان شاحبا ، رقيقا يشبه البنات ، وكانت
ملامحه نفس ملامح سيدي تماما ، لكنه كان يبدو هزيلا
سقيما . .

ولما أفاق لنتون من نومه حمله سيدي ثم أنزله
إلى الأرض قائلا :

— هذا هو لنتون ابن عمك ياكاتى .

ثم جمع يديهما سويا وأضاف قائلا :

— انها مفرمة بك من قبل أن تراك ، حاول أن
تكون مرحا سعيدا ، فالرحلة قد انتهت .

خجل الصبي من ترحاب كاتى ووضع أصابعه
على عينيه ، ودخل ثلاثتهم إلى البيت وصعدوا إلى
المكتبة ، حيث كان الشاى معدا . وأجلست لنتون على
كرسى من كراسى المائدة بعد أن خلعت له سترته ،
ولكنه بدأ يصبح متلعرا :

— لا أستطيع أن أجلس على كرسى .

فاجابه خاله بصبر :

- اذهب واجلس فوق الأريكة اذن ، وستحضر
لك نيللى الشاى هناك .

فحملت كاتى أحد الكراسى الصغيرة مع فنجانها
وجلست بجانبه . وبقيت صامتة فى بادى الأمر ،
ولكن لم يدم هذا طويلا ، اذ عزمت على ملاطفة ابن
عمتها ، وبدأت تلامس خصلات شعره بلطف وتقبل
خده وتقدم له الشاى فى طبق فنجانها وكأنه طفل
صغير . فانفجرت أساريره ومسح على عينيه واخذ
يبتسم ابتسامة باهتة .

وقال لى السيد بعد أن راقبهما لفترة :

- ستطيب له الحياة معنا يا نيللى ، اذا استطعنا
الاحتفاظ به . ومصاحبته لكاتى ستبعث فيه حياة
جديدة .

فقلت لنفسى :

- أجل ، أتمنى ذلك لو استطعنا الاحتفاظ به
معنا .

لكنني شعرت بأن الأمل ضعيف في ذلك ..
واخذت أتساءل كيف يمكن للطفل الضعيف أن يعيش
في مرتفعات وذرنيج بين أبيه وهيرتون ؟
ولقد تحققت شكوكنا في الحال ..

اذ بمجرد ان أخذت الطفلين الى غرفة النوم ،
وجاءت الخادمة من المطبخ لتخبرني بأن يوسف ، خادم
السيد هينكليف ينتظر في الخارج ويريد مقابلة
السيد .

وبعد تردد ذهبت الى المكتبة لأعلن عن قدوم
هذا الزائر غير المرغوب فيه . وكان يوسف قد تبعني
دون أن ينتظر لأدعوه للدخول . وقال :

— أرسلني هينكليف لأخذ ابنه ، ولا يمكن أن أعود
إليه بدونك !

صمت اذجار لينون لفترة وارتسمت على وجهه
علامات الأسى وبدأ عليه حزن مرير لفكرة تسليمه
للطفل ، ثم أجاب بهنو : :

- قل للسيد هيثكليف ان ابنه سيأتى لمرتفعات
وذرينج غدا . أنه فى فراشه الآن ، ومتعب من أثر
السفر .

وانصرف يوسف بصعوبة لذهابه خالى الوفاض،
بعد ان حددنا بمجيء هيثكليف فى اليوم التالى ..

الفصل الرابع والثلاثون

لنتون يذهب الى بيته

ولتجنب مغبة تنفيذ هذا التهديد ، امرنى ادجار
أن آخذ الصبى فى الصباح الباكر الى والده على جواد
كانى ، وأضاف قائلاً :

– يجب أن لا تقولى لابنتى أين ذهب . فهى لن
تستطيع رؤيته فى المستقبل . قولى لها أن والده قد
طلبه ، وكان لابد أن يتركنا .

ولم يرغب لنتون الصغير فى مفارقة فراشه فى
الساعة الخامسة من الصباح التالى ، واندحش لقيامه
برحلة جديدة . فأخفت أخلف عنه مشقة الاستيقاظ

قائلة له بأنه سيمضي بضعة أيام مع أبيه المشتاق
لرؤيته بدون تأخير .

فصرخ الصبي قائلا :

- - أبي ؟ لم تخبرني ماما أبدا بأن لي أب .
- لماذا لم تعيش مع ماما سويا مثل بقية الناس ؟
- - لقد كان لديه أعمال تجعله يبقى في الشمال
- وصحة والدتك كانت تحتم عليها أن تعيش في
- الجنوب .

ولم يقتنع الصبي ، وعاد وقال :

- - أمي لم تكلمني عنه . كانت تكلمني دائما عن
- خال ، وهذا ما جعلني أحبه . وكيف أحب أبي ؟

فقلت :

- - جميع الأطفال يحبون آباءهم .. هيا بنا .
- فالركوب المبكر في مثل هذا الصباح الجميل أفضل
- من ساعة نوم أخرى .

- هل هي ستذهب معنا .. الفتاة الصغيرة
التي رايتها أمس ؟

- ليس الآن !

- هل سيذهب خالي معنا ؟

- كلا ، سأذهب أنا معك الى هناك .

ففاص لتتوّن ثانية في فراشه وقال :

- لن أذهب بدون خالي .

وكان على أن استمعين بمساعة سيدي لافتزاعه
من الفراش . واخيرا قام الصغير المسكين من فراشه
وهو يعلن أن زيارته لن تطول وأن على خاله وكاتى أن
يزوراه مع وعود أخرى كنت أقطعها على نفسى ليس
لها اى أساس من الصحة .

ومع الهواء النقي وشروق الشمس بدأ يشرح
مصدره ويسأل عن بيته الجديد .. هل مرتفعات
وذرينج مكان جميل مثل مزرعة تراش كروس ؟ ..
هل والده جميل المنظر مثل خاله ؟ .. **فقلت له :**

— ان بيتك اصغر ، لكنه ثانى قصر فى المنطقة .
اما والدك فهو مازال شابا فى عمر خالك ، لكنه اسود
الشعر واليمينين ويبدو أكثر قسوة . وقد لا يبدو
عطوفا لطيفا فى البداية ، ربما ، لكنه سوف يحبك
أكثر من خالك ، لأنك ابنه .

وانشغل الصبي تماما ، بقية الطريق ، بأفكاره .
وكانت الساعة السادسة والنصف عندما وصلنا .
وكان أهل البيت قد انتهوا لتوهم من طعام الافطار ،
وكانت الخادمة ترفع الأطباق وتنظف المائدة وما إلى
وأنى هيثكليف حتى صرخ قائلا :

— هالو ، نيللى ! هل حضرت ما يخصنى ؟
دعبنى أراه ؟

ونفض متوجهها نحو الباب ، وتبعه هيرتون
ويوسف بدافع الفضول . أما لتتون المسكين فنظر
إلى ثلاثهم نظرة سريعة خائفة .

وقال يوسف بعد نظرة متلحصة :

- بالتاكيد ياسيدى ٠ لقد بدل معك وأرسل
لك فتاته !

وضعك هينكليف باستهزاء ، وقال :

- يا للجمال ! يا للشئ الساحر الفنان ٠ انه
أسوأ ما توقعت !

عندئذ طلبت من الصبي المرتضى أن يترجل
ويدخل ٠ لم يفهم تماما حديث أبيه ٠ ولم يكن متأكدا
بعد ، أن هذا الغريب القاسى الهازى هو أبوه ، ولكنه
تشبث بى بخوف متزايد ، وعندما جلس السيد
هينكليف وطلب منه أن يأتى اليه ، أخفى وجهه فى
كتفى ، وبكى ٠

ومد هينكليف يده وجذبه بقوة بين ركبتيه
وهو يقول :

- تعال ! لا داعى لهذا الكلام الفارغ ٠ اننا لن
نؤذيك بالنتون ، اليس هذا اسمك ؟ انك تشبه
والدتك تماما ، أين حصتى فيك ؟

وخلع قبعة الصبي ودفع بخصلات شعره
الكثيف للخلف وتحسس ذراعيه الرئيعتين وأصابه
الصغيرة ، وتوقف لتتوّن عن البكاء ورفع عينيه
الزرقاوين الواسعتين ليتفحص من يتفحصه ، ثم سأل
هينكليف :

— هل تعرفنى ؟

فقال لتتوّن والظوف ينبعث من عينيه :

— كلا !

— كلا ؟ يا للعار .. ان والدتك لم توقظ
شعورك نحوى ! انت ولدى ، وساعتنى بك ، فكن
ولدا طيبا . وانت يانيللى ، اجلسى ، اذا كنت متعبة .
والا فاذهبى الى البيت . فلن يستقر هذا الوضع وانت
واقفة هكذا .

— حسن ، أرجو أن تكون كريما معه يا سيد
هينكليف ، فالصبي ضعيف ، وقد لا يقوى على أن
يعيش طويلا .

لقال ضاحكا :

- لا تخافى ، ساكون كريما جدا معه . ولأيدا
كرمي ، قم يا يوسف واحضر طعام الانطار للصبي ،
وانت يا هيرتون ! اذهب الى عمك .

ثم انصرف بعد ذهابهم :

- أجل ، ان ابني سيكون مالكا للمكان الذى
انت فيه ، ولن أتمنى موته حتى اتأكد من كونى
وريثه . علاوة على أنه ابنى وأريد أن أستمتع برؤيته
مالكا لممتلكاتهم ، ومستخدما أبنائهم فى زراعة أراضى
آبائهم بالأجرة .. ان مثل هذه الفكرة فقط هى التى
تجعلنى اتحمل هذا البائس . انه عديم القيمة فى
نفسه ، وانى أكرهه لما يعينه لى من ذكريات ! لكنه فى
أمان مسمى ، ولدى غرفة مؤنثة بشكل جميل من أجله .
ولقد اتفقت مع مدرس ليقوم بالتدريس له ثلاث مرات
فى الاسبوع . ولقد أمرت هيرتون أن يطعمه . فى
الحقيقة . لقد رتبته كل شئ ، لأجعل منه سيديا .
ومع كل هذا ، أرى أنه لا يستحق تعبى . لو تصنيت

أى شيء فى الدنيا لتمنيت أن أجده مدعاة لفخرى ،
ولكن خاب أمل فى هذا الطفل الخدوع !

وإثناء حديثه ، أحضر يوسف الافطار وكان
عبارة عن عصيدة ، وضعها أمام لنتون الذى نظر إليها
نظرة استمزاز ، وأعلن أنه لا يستطيع أكلها .

وغضب يوسف ، ولكن هيثكليف طلب من مديرة
المنزل أن تقدم له ما يرغب فى أكله . وانسللت
خارجه ، حيث لم يكن هناك سبب لبقائى ، وذلك
إثناء انشغال لنتون بكلب الرعى الودود . ولكنى
سمعت وأنا أغلق الباب صرخة ، وتكرار يائس لهذه
الكلمات :

— لا تتركينى ! لن أبقى هنا ! لن أبقى هنا !

الفصل الخامس والثلاثون

تفضلا الى بيتي

كان امانا عمل شاق مع كاتى فى ذلك اليوم .
فلقد استيقظت فى ثورة عارمة ، شغوفة بان تلحق
بابن عمها وانخرطت فى البكاء لمفادته البيت .
وكنت عندما اقابل مدبرة منزل مرتفعات وذرينج
من حين لآخر فى القرية اسالها عن صحة لنتون ، حيث
كان يعيش حياة مستترة ، مثل كاتى نفسها ، فلا يراه
احد . وعلمت ان صحته ضعيفة ، وانه صعب التوجيه ،
ويبدو ان السيد هيثكليف يزداد كرها له رغم انه
يحاول ان يخفى ذلك . وكان لايحتمل ان يكون معه
فى غرفة واحدة لمدة طويلة .

وكان لنتون يتعلم دروسه ، ويقضى أمسياته
فى غرفة صغيرة خاصة به ، أو يرقد فى فراشه طوال
اليوم ، حيث أنه كان دائما مصابا بالسعال ونزلات
البرد ، ويشكو من الآلام والأوجاع بجميع أشكالها ..

وبعد سنتين تركت هذه السيدة المنزل وجاءت
مديرة أخرى مكانها ، لم تكن على معرفة بها .

ومر الوقت فى المزرعة بطريقة سعيدة حتى بلغت
الآنسة كاتى سن السادسة عشرة من عمرها . وكنا
لانتفل بيوم مولدها مطلقا ، لأنه كان يوم وفاة والدتها
أيضا . وكان والدها يقضيه بمفرده ، ويقوم بالمشى
الى المقبرة ويترك كاتى لتقوم بتسليتها نفسها .

كان ذلك من أيام الربيع الجميلة ، ونزلت صيدتى
الصغيرة مرتدية ملابس الخروج قائلة بأن أباه قد
سمح لها بالذهاب الى بداية منطقة المستنقعات معى ،
على أن لا نتوغل فيها .

واضالت قائلة :

— هيا اسرعى يا نيللى ! اريد ان ارى الطيور الصغيرة التى هناك . لابد انها اقامت اعشاشها .

فقلت لها :

— ان المسافة الى هذه الطيور بعيدة !

فقالت :

— كلا ، لقد ذهبت مع ابنى ورايتها .

لم افكر كثيرا فى الامر ، واعدت نفسى ،
واقلمنا سويا . وكانت تركض هنا وهناك طول
الطريق . وفى البداية وجدت تسليية كبيرة فى الاستماع
الى الطيور وهى تغرد من بعيد ومن قريب . واستمتعت
بأشعة الشمس الدافئة وبمراقبة عزيزتى الصغيرة
ونضلات شعرها الذهبى تتطاير من خلفها ، ووجهها
الساطع ناعم نقى كالوردة ، وعينيهما تلمعان بالسعادة .

فقلت لها :

— حسن ، أين طيورك يا آنسة كاتى ؟ لقد سرنا

طويلا ١٩

فكانت تعجب باستمرار :

— أبعد قليلا .. أبعد قليلا ..

وبدأت أخيرا اشعر بالارهاق وطلبت منها الاستعداد للرجوع . وكانت تتظاهر بعدم السمع ، وكان على أن أستمِر في اللحاق بها . واختفت من أمامي داخل تجويف الصخور ، وعندما ظهرت ثانية ، كانت لا تبعد أكثر عن ميلين من مرتفعات وذرينج . ورأيت شخصين يقومان بالقبض عليها ، وكان أحدهما السيد هينكليف .

قبضا عليها كسارقة أو على الأقل لأنها تصطاد الطيور في المرتفعات وهي أرض ملك السيد هينكليف ، الذي كان يحذرها ، وأظهرت هي له يديها الفارغتين

قائلة :

— لم آخذ شيئا ، بل لم اعثر على أى طائر ..
لقد أخبرني أبى بوجود كثير منها هنا ، وكنت أود أن أرى بيضاها .

وبابتسامة شريرة سألتها هيثكليف من والدها ؟ ..

فاجابت :

- السيد لتون صاحب مزرعة تراش كروس ،
اعتقد أنك لا تعرفنى والا ما تحدثت معى بهذه الطريقة .

حال فى نبرة استخفاف :

- وتعتقدين أن أباك رجل محترم ، اذن !
- ومن أنت ؟ ومن هذا الشاب ، أخو ابنك ؟
وأشارت الى هيرتون الذى بدا ضحكا قويا
عما قبل ، لكنه لا يزال خشنا تعوزه اللباقة .

فدخلت قائلة :

- آنسة كاتى . يجب أن نعود الى البيت الآن .

فاجاب هيثكليف وهو ينحنى جانبا :

- كلا ، هذا الشاب ليس ابنى ... لكن لدى
ابن ، لقد رأيته من قبل .. اعتقد من الافضل لك

ولربيتك أن ترتاحا قليلا • تفصلا إلى بيتي •
وستلفيان ترحيبا كريما •

وهمست لكائي بالأا تقبل الدعوة بأية حال •
ولكنها ركفت نحو البيت • وأمسك هيثكليف
بذراعي • فقلت :

— ان عملك هذا • يا سيده هيثكليف • ليس
لائقا • وسيلومني سيدهى على هذا عند عودتنا •
فاجاب :

— اريدها ان ترى لنتون • فهو أحسن حالا فى
هذه الأيام الأخيرة • انى ارجب فى ان يحبا بمضهما
ويتزوجا • فهى ابنة خاله وهو ابن عمتها • وهذا كرم
منى • حيث أن الفتاة لن ترث شيئا عنهما يموت
أبوها •

فقلت :

— ان صحة لنتون ليست على مايرام • وإذا توفى
ستصبح كائي وريثة لهذا القصر •

— كلا ، لن تكون • فلا يوجد ترتيب من هذا
النوع في الوصية • فالملكية ستؤول الى ، ولتجنب
النزاع أرغب في أن يتزوجا •
ونقدمي نحو البوابة ، حيث كانت الأنسة كاتى
تنتظرنا •

الفصل السادس والثلاثون

الزيارة الثانية للمرتفعات

رمت كاتى هينكليف بنظرات عديدة ، وكانها لم تستطع أن تقرر ماذا تفكر فيه ، ولكنه بدأ يتسهم حاليا وينعم من صوته عندما يخاطبها . ولكنى كنت لا أزال حيقاء ، فى أن أتخيل أن ذكرى والدتها قد تحته على عدم ايذائها .

كان لنتسون يقف بجانب المدفأة ، حيث كان قادما من الحقول ، وكان ينادى على يوسف ليحضر له حذاء جافا . لقد طالت قامته ، ومازال وجهه جميلا وكانت عيناه وبشرته أكثر صحة عما كانت عليه . وسال هينكليف وهو ينظر الى كاتى :

- والآن ، من هذا ؟ هل عرفته ؟

ف نظرت كاتى اليهما فى رية ، وقالت :

- اينك ؟

- ان ذاكرتك لصيفة . وانت يالنتون الا تذكر

ابنة خالك ، التى كنت ترغب فى مقابلتها دائما ؟

وصرخت كاتى بفرح :

- من ؟ لنتون ! هل هذا حقا لنتون الصغير ؟

انه اطول منى !

ثم قفزت نحوه وقبلته ، واخذت ينظران
باندهما الى التغيرات التى اجرامها الزمن على
مظهرها . لقد اوصلت كاتى الى اقصى طول لها فى
صحة وخفة روح .

اما لنتون فكانت نظرائه وتحركاته تنقصها
الحيوية ، لكن كان فى سلوكه نوع من الرشاقة .
ثم استدارت كاتى الى هينكليف وشبت لتقبله ايضا
وهى تقول :

— وأنت زوج عمى اذن ! اعتقد اننى ارتحت
لك ، رغم أنك كنت فظيحا فى البداية . لماذا لاتزور
المزرعة مع لنتون ؟

واستمرت تقول وهى تستدير نحوى :

— آه يانيللى يا شقية .. ياشريرة ، انحاولين
أن تمنعيننى من الدخول !

فقال هيثكليف :

— لاتضيعى قبلاتك على ، اعتقد اننى يجب أن
اعلمك بأن السيد والدك متحامل ضدى . لقد تشاجرنا
ذات مرة سويا ، واذا أخبرته عن زيارتك الى هنا ، فانه
سيمنعك من المجيئ مرة أخرى ..

وسالته كاتى بدهشة وبخيبة امل :

— وما هو سبب النزاع بينكما ؟

فاجاب هيثكليف :

— لقد رفض زواجى من شقيقته ، لأنه كان يرانى
فقيرا ، وعندما تزوجتها حزن تماما .

— هذا خطأ ، وسأخبر والدي بذلك في يوم ما .
أما لنتون وأنا فلا علاقة لنا بنزاعكما . لن آتى الى هنا
بل سيأتى هو الى المزرعة .

فتمتم ابن عمته قائلا :

— انها بعيدة . امشى اربعة أميال ! ان هذا قد
يقتلنى .

ونظر الأب بنظرة احتقار مريرة لابنه وقال له :-

— اليس لديك شئ . مريه لابنة خالك ؟ خذها الى
الحديقة قبل أن نغير هذاك .

فسال لنتون كاتى مبدىا تقاعسه :

— الا تفضلين الجلوس هنا ؟

فاجابت وهي تنظر الى الباب :

— لا أدري .

فاحتفظ بمقعده واقترب به من المدفأة . ونهض
هيكليف ، ونادى على هيرتون ، فاجاب هيرتون الذى

ظهر في الحال • لقد كان يفتسل ، كما هو ظاهر
من خموده البراقة وشعره المبتل • فصرخت كاتى
قائلة :

- انه ليس ابن خالى ، اليس كذلك يا عمى ؟

- انه ابن أخ والدتك ، الا تحبينه ؟

وبدا على كاتى التردد ، وشبت وعسست بجملة
فى اذن هينكليف ، الذى ضحك واصبح وجه هيرتون
عابسا مكفها • لكن صيده ، او الوصى عليه طارد
عبسه قائلا :

- ستكون المفضل بيننا يا هيرتون ! لقد قالت
شيننا لطيفا جدا عنك • رافق الآنسة فى جولة حول
المزرعة ، وتصرف كسيد • ولا تستخدم أية الفاظ
بذيئة ، ولا تبخلق فيها بعينيك ، وتكلم ببطة واحتفظ
ببيدك خارج جيوبك •

وراقبهما وهما يمران بالنسافذة • وكان هيرتون
يسير دون أن ينظر الى رفيقته • وقال هينكليف فى
وضا :

- لقد عقدت لسانه ، سيخشي أن يتفوه بأية كلمة نابية . هل تتذكريني ، يا نبيل ، وأنا في سنه ؟ .. لا ، بل وأنا أصغر منه .. هل كنت غيبا هكذا ؟

فاجبت :

- اسوأ ، لأنك كنت عكر المزاج .

واستمر قائلا :

- اننى استمتع به هكذا ، ولو كان ولد غيبا لما استمتعت بنصف مقعتي هذه . ويمكننى أن أتعاطف مع جميع أحاسيسه ، كونى أحسستها بنفسى . ولن يقدر على الهروب من فظاظته وجهله ، لأننى علمته بأن يتفاخر بحاله . لقد كنت معه أسرع مما كان أبوه معى . وأفضل شيء فى الموضوع ، أن هيرتون مفرم بى تماما . وإذا قام أبوه من قبره ليتهمنى بالخطأ فى حق ابنه ، فسيتقاتل معه هذا الابن ليحمينى كصديقه الأوحده فى العالم !

وأصدر ضحكة شريرة ، بينما شعر لنتون أنه
ذلك ، ربما بالأسف لفقدته فرصة مرافقة كاتي ، وبدأ
يقلق ، فنهض وأطلق خارجا .

وكانت كاتي تسال هيرتون عن الكلمات التي
فوق الباب ، ونظر هيرتون الى أعلى وأخذ يحك رأسه
ثم أجاب :

- بعض الكتابة ، اننى لا أستطيع قراءتها ..

فأصدر لنتون ضحكة صغيرة سخيفة ، وقال
لكاتي :

- انه لا يعرف حتى حروف اسمه . هل رأيت
أحدا بهذا الجهل ؟ .. ولا يوجد هناك الا مجرد
الكسل .. اليس كذلك يا هيرتون ؟ .. هل لاحظت
نطقه السيئ ؟ أنه يحتقر « تعليم الكتب » كما يسميه !

فقال هيرتون :

- لماذا ؟ ما الفائدة من ورائه ؟

وانفجر لنتون وكاثي في نوبة من الضحك بصوت عال ، وغادرهما الشاب الحائق المسكين ووجهه مشتمل بالغضب والخيال . ابتسم السيد هيثكليف عندما رآه يذهب ، ولكني رآته بعد ذلك يوجه نظرة كراهية للثنين اللذين استمرا في الاستمتاع بالاحساس بالتفوق . وبدأت أكره لنتون أكثر مما أشفق عليه ، وأخذت أجد المذر لأبيه بعض الشيء في أن يفكر فيه بهذا الشكل السيئ .

الفصل السابع والثلاثون

سر كاتى

بقينا بالمرتفعات الى ما بعد الظهر ، اذ لم استطع
انتزاع كاتى قبل ذلك . ولحسن الحظ بقى سيدى فى
غرفته ، ولم يعرف شيئا عن غيابنا الطويل .

وفى اليوم التالى ، لم أشعر بالأسف ، رغم ان
الحقيقة قد عرفت ، اذ اعتقدت ان المسئولية فى توجيه
وتحذير سيدتى الصغيرة تقع على عاتق ابيها اكثر مما
تقع على ، لكنه كان حذرا فى اعطاء الاسباب التى من
اجلها يجب ان تتجنب أهل المرتفعات .

وكانت كاتى تحب أن تعرف الاسباب الحقيقية

لاى شىء يتعلق بشئونها .. واخيرا أخبرها والدها
باختصار عن معاملة هيثكليف لايزابيللا .. وبدأ عليها
أنها اندحشت وتكررت لهذه الرؤية الجديدة للطبيعة
البشرية ، حتى انه لم يجد من الضرورى أن يخبرها
بأكثر من ذلك .

وقبلت والدها ، ثم انصرفت فى هدوء لتابعة
دروسها لساعة أو ساعتين ، ثم ذهبت معه بعد ذلك
فى جولة حول القصر ، ومضى بقية اليوم كالمعتاد .
ومع ذلك ففى المساء عندما توجهت اليها فى غرفتها
لمساعدتها فى خلع ملابسها ، وجدتها جاثية بجانب
السرير وهى تبكى . فقلقت لها :

— يالك من طفلة ساذجة ! من المخجل أن تذرف
عيناك دمة واحدة على موضوع بسيط كهذا .

— اننى لا أبكى الا من أجل لنتون ، أنه سيحمر
بخيبة أمل ان لم يرنى ثانية .

— كلام فارغ ! سيفهم ما حدث ، ولن يزعج
نفسه بك أكثر من ذلك .

- ولكن الا اكتب له كلمة موجزة أخبره فيها
سبب عدم ذهابي ؟ .. او ارسل له هذه الكتب التي
وعده بها .

فاجبتها بحسم :

- كلا بالطبع ، والا سيكتب لك ولن توجد نهاية
للموضوع .

- ولكن مجرد رسالة قصيرة ...

فقاطعتها قائلة :

- كفى ! لن نرسل أية رسالة ، واذهبي الى
فراشك .

فرمتني بنظرة عاصية وعنيدة لدرجة انني لم
اقبلها قبله النوم ، وغطيتها وانصرفت ، وبعد أن
أغلقت الباب ، أحسست بالأسف ، فعدت اليها
بهدهو ، فوجدتها واقفة بجوار المائدة وتمسك في يدها
ورقة وقلما ، وعندما لاحظتني أخفتها مع احساس
بالذنب ، فقلت لها :

– لن يأخذها منك أحد اذا كتبتيها •

وأطفأت الشمعة وأنا أتحدث ..

ومرت أسابيع واستردت كاتني هدوءها ،
وأصبحت مفرمة بقراءة الكتب .. واذا اقتربت منها
كانت تحاول أن تخفيها ، ويبدو أنها كانت تخفي بعض
الأوراق بين صفحاتها • وأصبحت لديها أيضا عادة
النزول مبكرا الى المطبخ وكأنها تتوقع شيئا ، وكان
لديها درج صغير في خزانة المكتبة الذي تتفحصه طويلا
ومفتاحه تحتفظ به في حرص شديد •

وفي أحد الأيام ، لاحظت أن ما تخفيه في صرية
وغموض ما كان الا وريقات مطوية ، فتتقظ شكى
وفضولى ، لذا بحثت بين مفاتيحي ، فوجدت مفتاحا
يفتح هذا الدرج ، فأخذت أتفحص هذا الكرز
الخاص بها •

كان يحتوى على مجموعة من الرسائل اليومية
من لنتون هيثكليف تجيب على رسائل منها ، فربطتها
في منديل وأعدت اغلاق الدرج خاويا •

ورافبتها في الصباح التالي ، وهي تنزل الى المطبخ
مندفعة نحو الباب عند قدوم الصبي الصغير بائع اللبن .
وأنهاء تناول الخادم اللبن كانت هي تضع شيئا في
جيبه ، وتأخذ شيئا آخر منه . تبعت الصبي الى
الحديقة ، ونجحت في الامساك بالرسالة ، رغم انه
قاوم بشجاعة ليدافع عن الثقة التي وضعتها فيه ،
فسكبنا اللبن فيما بيننا ، واستندت على الحائط
وقرائها . كانت أكثر بساطة وأخلاصا من رسائل
ابن عمته : جميلة جدا ، وبلهاء جدا .

كان يوما مطرا ، لذلك ذهبت كاتي ، بعد
الانتهاء من دراستها الصباحية ، الى درجها لتسل
نفسها . كان ابوها جالسا يقرأ على المائدة ، وكنت
أنا ، عن قصد ، أصلح الستارة بجانب النافذة وأراقب
كل ما يحدث .

لن يعبر أى طائر عن فجيئته ، بكل صراخه
عندما يعود الى عشه ويجد صغاره مسروقين ، أكثر
مما عبرت هي عنه في الآهة الوحيدة التي أصدرتها !

ورفع السيد اذجار بصره وقال :

- ما الامر يا عزيزتى ؟ هل جرحت نفسك ؟

فاجابت بصعوبة :

- لا يا ابي ، نيللى ! نيللى ! تعال الى غرفتى ،
اننى اشعر بالأعياء !

وطاوعتها فى الحال .

- اوه ، نيللى ، لقد اخذت الرسائل . اعيديها
لى ، ولا تخبرى والدى بشئ ! لقد كنت عاصية تماما ،
ولن اعود الى ذلك ثانية !

- سأذهب بهذه الرسائل الى المكتبة وسنرى
ما يقوله والدك عن هذا الكلام الفارغ .

وحاولت ان تاخذها منى ، ولكنى امسكت بها
ورفعتها فوق راسى ، فاستعطفتنى ان احرقها ،
او افعل اى شئ فيها الا ان اذهب بها الى والدتها .
فقلت لها وانا اليوم لأمنع نفسى عن الضحك :

- هل تعدينى بالا ترسلى ولا تستلمى اية رسالة ولا كتاب ولا خصلة شعر ولا خواتم ولا اى شيء من هذه الا لا عيب ؟

فصرخت كاتى وكبرياؤها يتغلب على خجلها :

- اننا لا نرسل الا عيب .

- امكذا ؟ اذن ، ياسيدتى !

فصرخت وهى تمسك بشيايى :

- اننى اعدك يا نيللى !

ولكنى عندما بدأت فى وضع الرسائل فى المدفأة ، كانت التضحية مؤلمة ، فقالت :

- ارجو أن تبقى على رسالة او اثنتين من أجل خاطر لنتون !

لكننى لم اكرث لطلبها ، وواصلت لقاء الرسائل الى اللهب . فصرخت واضعة يدها فى المدفأة لتسحب قطعاً نصفها محترق مع التساع أصابعها :

— أريد أن احتفظ بواحدة فقط . أيتها الظالة !

— حسن جدا . . . إذن سأعطى والدك بعضها !

عند ذلك أفرغت ما في يدها من أوراق نصفها مسود في النار . وذهبت الى غرفتها دون أن تنفوخ بكلمة . . . اما أنا فنزلت لأخبر السيد بأن كاتى قد شفيت من نوبة الاعياء . وأنتى نصحتها بأن ترتاح فى فراشها قليلا .

وعلى موعد الشاى بدت شاحبة محمرة العينين ولكنها كانت فى حالة هدوء تام .

وفى الصباح التالى ، كتبت ردا على رسالة لنتون ما يلى :

« المطلوب من السيد لنتون هيثكليف الا يرسل اية رسائل أخرى للآنسة كاتى . حيث انها لن تستلمها » .

ومنذ ذلك الحين يأتى بائع اللبن الصغير ويذهب وجيوبه خاوية .

الفصل الثامن والثلاثون

نتيجة تسلق الجدار

وصل الصيف الى نهايته . وكانت المحاصيل متأخرة في ذلك العام . فكان السيد ادجار وابنته كثيرا ما يتمشيان بين المزارعين العاملين في الحقول ، وفي آخر أيام جمع المحاصيل بقيا حتى انسدل الليل . وكان نتيجة لذلك أن أصيب سيدي بنزلة برد شديدة أثمرت في رئتيه . وجعلته يلزم البيت خلال فصل الشتاء بطوله .

أما كاتى المسكينة ، فأصبحت أكثر قسامة وحزنا منذ انتهاء موضوع حبها النصير ، وأصر والدعا أن تقلل من القراءة وتزيد من الرياضة والمشي . ولم

تعد تصاحبه ، ورغم أنني حاولت سد النقص ،
الا أنني لم أستطع الا توفير ساعتين او ثلاث ساعات
من واجباتي اليومية المديدة .

وبعد ظهر أحد الأيام الأولى من شهر نوفمبر ،
بدت السماء وكأنها على وشك أن تمطر ، لذا طلبت
من سيدتي الصغيرة الاقلاع عن فكرة المشي ، ولكنها
رفضت . لذلك ارتديت ملابس الخروج وأنا غير
راغبة ، على أن اذهب معها الى نهاية المزرعة . هذه
هي التمشية التي كانت تختارها عندما تحس
بالكآبة ، مثل الآن . حيث حالة سيدي أصبحت أسوأ
من المعتاد .

وعندما اقتربنا من باب مفتوح على الطريق ،
أصبحت سيدتي أكثر ابتهاجا وتسليقت الحائط
وجلست فوقه لتلتقط بعضا من الثوت الأحمر من
الشجرة البرية ، وسقطت قبعتها خارج السور ،
فقفزت لتحضرها .

وكان الرجوع لداخل القصر ليس بالأمر السهل ،

لأن أحجار السور كانت ملساء من الخارج ، ولم أنذكر ذلك الا عندما سمعتها تضحك وتنادى قائلة :

- نيللى .. نيللى .. عليك أن تحضرى المفتاح والا على أن اركض حول المزرعة لأدخل من البوابة الرئيسية .

- ابقى كما أنت ، فلربما أستطيع فتح الباب باحدى هذه المفاتيح الموجودة فى جيبى .

وحاولت جميع المفاتيح دون جدوى ، وبعدما سمعت صوت جواد ، ثم همست كاتى تخفى قائلة :

- نيللى ، افتحى الباب .

ثم سمعت صوتا عميقا يصيح قائلا :

- أهلا يا كاتى ، اننى مسرور بلقائك . وأود أن استفسر عن شئ ! .

فاجابت كاتى قائلة :

- اننى لا أريد التحدث معك يا سيد هينكليف ، لأن والدى قال بأنك رجل شرير . وانك تكرهنا نحن الاثنين ، وهذا ما قالته نيللى أيضا .

فقال هيثكليف :

— ان هذا ليس بيت القصيد . وانا لا اكره
ابنى ، على ما اظن ، وهذا ما جئت من اجله للفت
انتباهك نحوه . اجل ! قد يكون هناك سبب لحبك !
فلقد تعودت منذ شهرين او ثلاثة اشهر على الكتابة الى
لنتون . لقد حصلت على رسائلك ، واذا لم تستجيبى
لى ، فساطم والدك على كل شيء . هل مللت التسلية ؟
حسن . ان لنتون كان شغوفاً بك . . انه يموت من
أجلك . وقلبه يتعطم بسبب لموتك . ويزداد سوءاً
كل يوم . . واذا لم تقدمى له يد المساعدة لمسيكون
تحت التراب قبل حلول الصيف القادم .

فصرخت :

— كيف تكذب على هذه المسكينة دون أدنى
خجل ! كاتى . . ساكر الفل بحجر لانتحه . . ولقمة
واحدة . . لاتصدقنى كلامه .

فتمتم هيثكليف :

- لم أكن أعرف أن هناك من يتصنت .
مسز دين . . كيف تكذبين دون أدنى خجل ! آنسة
كاتى ساغيب لمدة أسبوع عن البيت ، يمكنك ان تذهبي
وتتاكدي من صدق قول .

وانكسر القفل ، وخرجت وامسكت بذراع كاتى
وأجبرتها تقريبا على الدخول ، حيث كانت تنظر
الى المتحدث بعينون مضطربة . واغلقت الباب . وكان
المطر قد بدأ ينهمر فأسرعنا الى الداخل فى سكون .

وفى المساء ، اخذت تبكى وحدها ، وكنا جالستين
بجوار المدفأة .

وكان حديثى معها بلا جدوى ، فلقد قام هيثكليف
بدوره بكل مهارة وحقق .

وقالت :

- قد تكونى على صواب يا نيللى ، لكن لن يهدأ لى
بال حتى أعرف !

وما فائدة الغضب والجدل إذا نصميتها
 وفي اليوم التالي توجهت الى مرتفعات وذرينج مع كاتي.
 لم استطع تحمل سفها ولا وجهها الشاحب وعينيها
 الثقيلتين .. وإستسلمت على أمل أن ينقض لتون ،
 بطريقة استقباله لها ، ما قاله أبوه ..

الفصل التاسع والثلاثون

لنتون صعب الطباع

اعقب الليلة المطرة صباح مليء بالضباب ،
واعترضت جداول الماء المتدفعة من التلال طريقنا ،
وابتلت قدماي تماما ، واحسست بالضيق والانزعاج .
ودخلنا بيت المزرعة عن طريق المطبخ ، لتناكد من عدم
وجود هيثكليف فعلا .

كان يوسف يجلس بمفرده قرب المدفأة ، يستمتع
بالدفء ، وغلبونه في فمه ، واخذ يجيب على اسئلتنا
بغير مبالاة . وسمعنا صوتا من الداخل ينادى :

—يوسف ! كم مرة سناذى عليك ؟ لم يبق الا
قليل من الرماد الاحمر .

لم يبد يوسف أى اهتمام ، ولم نر مديرة المنزل
ولا هيرتون ، ربما كانا مشغولين في مكان آخر . وعندما
تأكدنا أنه صوت لنتون ، أسرعنا إليه . وطارت ابنة
خاله الى جواره .

فرلح رأسه من على مسند الكرسي الكبير الذى
يرقد عليه وقال :

— أهذه أنت يا كامي ؟ ارحو إن معلقى الباب من
فضلك ، لقد تركته مفتوحا . وهؤلاء الأبدال يرفضون
احضار الفحم للمدفأة . ان البرد لشديد .

قمت واشربت على المدفأة ، واحضرت بعض الفحم
بتفسي . واخذ الصبي المريض يشمكي من أن الرماد
يقطيه . لكنه كان يسعل سعالا شديدا ، وبدت عليه
الحصى .. وقالت له كاتى :

— حسنا يالنتون ، هل أنت مسرور برؤيتي ؟

— لماذا لم تات من قبل ؟ كان يجب أن تاتى ،
بدلا من الكتابة . ان كتابة الرسائل اتعبتني بشكل

فطبخ . والآن ، لا أستطيع ان أحتمل الكلام ، ولا أى
شئ آخر . . . أين زيللا ؟ هل تسمحى ان تبخى عنها
فى المطبخ .

وحيث اننى لم احصل على أى شكر ازاء ما قمت
به من خدمات أخرى ، لذلك بقيت حيثما كنت ،
واجبت :

- لا يوجد أحد هناك سوى يوسف .

- اريد ان اشرب . ان زيللا دائمة الذهاب الى
جيمرتون ، منذ ان تغيب والدى ، وانا مضطر ان أنزل
الى هنا . . . لانهم يتظاهرون بعدم سماعهم لندائى من
الطابق العلوى .

وذهبت كاتى تبحث له عن ماء وملات له كوبا
واحضرته له . فطلب منها ان تضيف ملحقة نبيذ فيه
من زجاجة على المائدة ، وبعد ان ابتلع قليلا ، بدى
افضل حالا ، وقال انها كريمة جدا . ثم كروت
سؤالها :

- هل انت سعيد برؤيتى ؟

- اجل ، ولكن عدم حضورك من قبل أزعجني ،
وقال والدي أنها غلطتي وأنتى عديم النفخ ، وقال
لو كان مكانى لأصبح حالياً سيد مزرعة تراش كروس ،
بدلاً من والدك .

وقالت كاتى :

- اننى لا أجروُ على الحضور ووالدك موجود ،
هذا اذا حصلت على اذن والدى . اود ان اقضى نصف
وقتى معك . كم أتمنى لو تكون أخى !

- اذن ستحبينى كما تحبين والدك ؟ لكن أبى
يقول بأنك ستحبينى أكثر من أى شخص آخر ، اذا
كنت زوجتى .

- الناس يكرهون أزواجهم أحيانا .. لكنهم
لا يكرهون أخوتهم .

فاعلمن لنتون ان الناس لا يكرهون أزواجهم ،
لكن كاتى كررت قولها واعطت مثل أبيه وكراهيته
لمعتها . وحاولت ان أضغ حداً لحديثها ، لكنها كشفت

له عن كل ما تعلمه . وأعلن لنتون أن قصتها مزيفة .
فاجابت :

- لقد اخبرني ابي بذلك وهو لا يقول لي أشياء مزيفة .

- ان ابي يحقر والدك !

- ان والدك رجل شرير !

فقال لنتون :

- حسنا ، سأخبرك بشيء : ان والدتك كانت تكره والدك ، فما رأيك ؟

فصرخت كاتي ، ومن غضبها لم تستمر ،
فاضاف هو قائلاً :

- وهي أحبت والدي !

فصرخت كاتي :

- هذا القراء .. وأنا اكرهك الآن .

فاخذ يفتنى قائلا وهو يفوص فى كرسىه مستمتعا
بتعاسة رفيقته التى تقف خلفه :

— احبته ! .. احبته !!

وفقدت كانى التحكم فى نفسها ، فدفعت بالكرسى
بعنف ، فتسببت فى سقوطه على ذراعه ، انتابته نوبة
سعال اوقفت تنفسه ، فانتهت فى الحال لحظة انتصاره
وامصابنى الخوف على لتون .. اما ابنة خاله فاخذت
تبكى بعنف برغم انها لم تضق شيئا ، وامسكت به
حتى انتهت النوبة . ثم دفع بى بعيدا ، واحنى راسه
الى اسفل فى سكون . واخذت كاتى مقمدا مقابلا له
واخذت تنظر الى المدفأة . وبعد عشر دقائق تقريبا
سالته :

— ماذا تشعر الآن ياسيد لتون ؟

فاجاب :

— اود ان تشعر ما اشعر به . هذه القاسية !

واخذ ينن لمدة ربع ساعة فقالت ابنة خاله

اخيرا :

- أصفه ان كنت أذيتك بالنتون . لم اكن اتحيل
ان دفعة بسيطة كهذه تسبب لك كل هذا . انها لم
تكن قوية ، اليس كذلك ؟

فتهم قائلا :

- لم اعد اقدر على الحديث معك ، لقد أذيتني
جدا ، وسأظل متيقظا طوال الليل على هذا السعال .
وبدا يبكي .. فسألته كاتى بعزى :

- هل تريد ان اذهب ؟

- دعينى وحدى !

وانتظرت طويلا .. ولم ينظر اليها . وفى النهاية
تحركت فى اتجاه الباب وانا من خلفها ، ولكننا عدنا
على صوت صرخة قوية ، فقد وقع لنتون من مقعده على
الأرض واخذ يتلوى . وانحنيت كاتى وأخذت تصرخ .
فقلت :

- سارفعه لبرتاح على الكنبه وليتلوى كما يشاء .
لا نستطيع ان نقف ونراقبه . وارجو ان تكونى قد
اقتنعت بانك لن تكونى مفيدة له .

فاقتربت منه ووضعت وسادة تحت رأسه ،
وقدمت له الماء . فرفض أن يشرب واشتكى بأن
الوسادة عالية عليه . وبأنه لن يدعها تتركه . ولغنت
له عددا من الأغنيات ، وهكذا استمر حتى أعلنت
الساعة الثانية عشرة . وعندما نهضت للذهاب ،
أمسك بثوبها وسألها :

— وغدا ، ياكاتى ، هل ستأتين ؟

وحسنت فى اذنه ، ثم غادرنا أخيرا ..

وعندما خرجنا من البيت ، قلت لها :

— لن تذهبى غدا يا آنسة ؟

فابتسمت كاتى ، واضلعت أنا قائلة :

— سأقوم بإصلاح القفل المكسور فورا .

لقلت ضاحكة :

يمكننى القفز من السور ، فالزرعة ليست
سجنا ، وعلاوة على ذلك فسأبلغ الساعة عشرة قريبا .
وسيكون شفاء لنتون أسرع اذا اعتنيت به أنا ..

- اسمي يا آنسة .. اذا حاولت أن تذهبي
الى مرتفعات وذرينج ثانية فساخبر والدك .

وصلنا البيت قبل موعد الغداء ، ولم يطلب
سيدي أى استفسار عن غيابنا ، ربما اعتقد اننا كنا
نتجول فى المنتزة . وعندما دخلت أسرع فى تغيير
حذائى المبتل وكذلك جوربى ، لكننى أصبحت مريضة
فى اليوم التالى ، وظللت فى فراشى لمدة ثلاثة أسابيع ،
لا أستطيع أن أقوم بواجباتى .

وتصرفت آنستى الصغيرة معى كالقديسة ترعانى
وتدخل البهجة على وحدتى . وكان يومها مقسما بين
حجرة والدها وحجرتى وأهملت واجباتها ودراستها
ولعبها .

حقا أن سيدي كان ينام مبكرا وأنا لم أكن
أحتاج لأى شئ بعد الساعة السادسة ، ولا أعرف كيف
كانت تقضى وقتها بعد موعد الشاي .

الفصل الأربعون

زيارات معنوعة

استطعت أخيرا أن اغادر حجرتي ، واتحرك في المنزل . وأول مرة أجلس فيها في المساء ، طلبت من كاتي أن تقرأ لي ، أن عيني كانتا ضعيفتين . فقامت بذلك بلا حماس ، وبعد نصف ساعة بدأت تسألني :
- نيلل ، ألست متعبة ؟ اليس من الأفضل أن تستريح في فراشك ؟

واجبتها أكثر من مرة :

- لا يا عزيزتي ، انني لست متعبة .

فبدأت تتشامب ، وتفرك في عينيها وتنظر الى
ساعتها . واخيرا عادت الى حجرتها .

وفي الليلة التالية بنت أكثر قلقا ، وفي الليلة
الثالثة اشتكت من الصداع ، وتركنتي . شعرت بأن
سلوكها غريب ، وبعد فترة ، صعدت اليها لأطمئن
عليها ، ولكنني لم أعر عليها ، ولم يشهدا الحدم ، وكل
شيء كان ساكنا في غرفة السيد ادجار . فعدت الى
غرفتها وأطلقت الشمعة وجلست قرب النافذة .

كان القمر بدرا ، وأخذت أتساءل هل خطر على
بالها أن تتشى في الحديقة . ورأيت شبحا زاحفا على
طول السياج الداخلي للمنتزه ، ولكنه ظهر انه أحد
عمال الاسطبل . ووقف يراقب طريق العربات لفترة ،
ثم اختفى فجأة ، ثم ظهر ثانية وهو يسحب جواد
كأني ، وهامى تترجل من عليه وتسير بجواره . ثم
دخلت حجرة الاستقبال من النافذة . وصعدت بهدوء
الى حجرتها . وأغلقت الباب بلطف وخلعت حذاءها
الطويل وفكت قمبتها . وكانت على وشك أن تخضع

ملايس المروج ، عندما نهضت فجأة ، وأظهرت نفس ،
فوقفت بلا حراك واعترتها الدعشة ، وللت لها :

- أين كنت يا عزيزتى فى هذا الوقت المتأخر
من الليل ؟

- مشيت الى آخر المزرعة .

- ألم تذهب الى مكان آخر ؟

فقال فى صوت خفيض :

- ٧

فصرخت فى اسف :

- أوه ! .. كاتى ، انت تعرفين أن تصرفك
خطا . أفضل أن اظل ثلاثة أشهر مريضة على أن
أسمعك تكذبين !

فلغزت نحوى وألقت بذراعيها حول عنقى ،
وانلجرت فى البكاء قائلة :

- حسنا ، أخشى أن تفضبنى منى . أعدىنى بالآ

تفظمي ، وسأخبرك بالحقيقة .. اننى اكره اخفاها
عليك .. لقد ذهبت الى مرتفعات وذرينج ، لأننى
بوعدي للنتون . لقد حصلت على المفتاح عند اصلاح
باب المنتزه . وكنت اذهب كل يوم منذ اول مرضك .
ولكننى لم اذهب للتسليه بل كنت تعيسة معظم الوقت ،
لم أسعد ربما الا مرة فى الاسبوع .

وفى زيارتى الثانية كان لنتون يبدو فى حالة
طيبة . ضحكنا وسعدنا بحديثنا لحوالى ساعة ، وتعبت
من الجلوس فاقترحت أن نلعب أى لعبة ، فوافق على
لعب الكرة معى . وكنت اكسب كل مرة ، ثم عاد الى
سماله ثانية ورقد ، وعندما غنيت له بعض الاغاني
الجميلة استرد روحه المرحه بسهولة . وعدت فى تلك
الليلة راكبة جوادى الى البيت كنسمة هواء .

وفى تلك الليلة ، قابلنى هيرتون ، وأمسك
بجوادى ، فطلبت منه أن يتركه ، فتحرك ونظر الى
أعلى نحو الحروف المحفورة على الحجر فوق الباب الامامى
وقال بغيا، مخلوط بالفخر :

— آتسة كانى • استطيع ان اقرأ ذلك الآن •

قلت :

— مدحش ، دعنى اسمعك اذن !

فراح يتهجى الكلمات ببطء : « هيرتون ايرنشو »

فصحت فيه مشجعة :

— والأرقام ؟

— لا استطيع قراءتها بعد •

وضحكت وطلبت منه ان يمشى ، حيث أننى
جئت لأرى لنتون ، لا لأراه هو ، فأحمر وجهه ، وذهب
متضايقا • أظن أنه يعتقد أنه متعلم مثل لنتون !

فقاطعتها قائلة :

— تذكرى أن هيرتون قريبك مثل السيد لنتون •
على الأقل هذه علامة على طموحه فى رغبته فى التعلم ،
لقد أخجلته من جهله قبل ذلك ، وحاول هو أن يعالج
ذلك ويرضيك • وإذا تربيت مثله ، فهل كنت

ستصبحين افضل منه ؟ لقد كان طفلا ذكيا ولماحا مثلما كنت .

- انتظري يا نيل . واسمعي البقية . دخلت ، كان لنتون راقدا على المقعد الخشبي في المطبخ وقال انه مريض ، وطلب مني ان اقرأ له قليلا ، وقبل ان ابدا ، دخل هيرتون دافعا بالباب وامسك بذراع لنتون وشده من على المقعد وقال له في صوت حائق :

- اذهب الى غرفتك . وخذها معك ، اذا كانت تأتي لتراك ، ولا تدعني اطل خارج هذا المكان !

واخذ يسب ، وكاد ان يلقى بلنتون خارجا . وخرج بالفعل وتبعته ، وسقط كتابي فركله ورائي واغلق الباب ورائنا . وقف لنتون شاحبا مرتعشا . وكانت عيناه تبرقان بالجنون والغضب . واخذ يهز مقبض الباب موجها تهديداته لهيرتون .

وامسكت بيديه وحاولت ان اسحبه بعيدا . واخيرا توقف صراخه اثر نوبة سعال حادة ، واخذ الدم يتدفق من فمه ، وسقط على الأرض . فركضت الى الفناء

منادية على زيللا • وفى هذه الاثناء حمل هيرتون لنتون
الى الطابق العلوى • وأطلق يوسف الباب ، وطلب منى
ثلاثتهم أن أعود الى البيت •

وظهر هيرتون ثانية ، وانا فى أول الطريق وقال :
- آنسة كانتى •• انا آسف •• !

فضربته بسوطى • وركضت بجوادى •••
ولم أذهب الى المرتفعات فى المساء التالى • جاءنى
وهم بأن لنتون قد مات •

وفى اليوم الثالث استرددت شجاعتى وذهبت •
فوجدته واقفا على كنية فى حجرة صغيرة بالطابق
العلوى ، يقرأ أحد كتبى • ولم يلتفت نحوى ولم يحدثنى
بكلمة • وعندما فتح فمه بدأ يعاتبنى ويضع اللوم على
لا على هيرتون • لما حدث ! فتهضت وثركت الحجرة •
وعزمت ألا أزوره ثانية •• لكنى عدت لزيارته بعد
يومين واخبرته بانى قد جئت ليس كما يعتقد من أجل
ايدائه • ولكنى جئت لأودعه • وعليه ان يخبر والده
بذلك •

فقال لى :

- انك اكثر سعادة منى يا كاتى ، ويجب ان تكونى افضل منى . فانا احيانا اكون نافها سىء المزاج ، ثابت الهمة ، لكن ناكدى لو امكنتى ان اكون حلوا كريما وطيبا مثلك للفعلت . . ان كرمك جعلنى احبك بشكل اعظم مما اذا كنت استحق حبك ، ورغم انى لا استطيع الا ان ابين طبيعتى لك ، الا اننى متأسف على ذلك حتى يوم وفاتى !

وشعرت بانه يتحدث بصفتى ، ويجب ان اغفر له . ومضت ثلاث زيارات ونحن نشعر بالسعادة والأمل . . اما باقى الزيارات فكانت كثيفة تعسة بسبب انانيته وسوء طبعه ، وبسبب ما يعانىه من الام . وتعلمت ان اتحملها جميعها . وتجنبنى السيد هيثكليف عن قصد ، ولم اراه . والآن يا ليللى ، قد سمعت كل شىء ، واطنك لن تخبرى والذى . اليس كذلك ؟

فكرت كثيرا بهذا الموضوع ، ثم ذهبت الى حجرة

سيدى مباشرة وأخبرته بالقصة كلها . . وانزعج السيد
 ادجار . وعلمت كاتى بانتهاء زياراتها . وبكت دون
 جدوى . وكل ما حصلت عليه كمواساة ، هو وعد بأن
 أباه سيكتب ليعطى ابن عمها الاذن لياتى الى المزرعة
 عندما يرغب فى ذلك . وربما لو كان قد أدرك طبيعة
 ابن اخته الحقيقية وحالته الصحية ، وهى التفاصيل
 التى لم أقصها عليه ، لما سمح له حتى بذلك . .

الفصل الحادى والأربعون

لقاء فى المستنقعات

كانت كاتى مطبعة لأوامر والدها ، وحبها له مازال
يحتل المركز الأول فى قلبها . وقد تحدث معها بدون
غضب ، بل وبكل حب وحنان لأب على وشك أن يترك
كنزه بين الأخطار والأعداء . وبعد أيام قال لى :

- أود أن يكتب لنا ابن شقيقى أو يزورنا .
نيللى أخبرينى باخلاص . ما رأيك فيه ؟ هل تفر
للأحسن ؟ أو هل هناك أمل فى أن يتحسن عندما
يكبر ؟

فاجبه :

- انه ضعيف جدا يا سيدى ، ومن الصعب أن يقوم بواجباته كرجل ، ولكن يمكننى أن أقول بأنه ليس كآبيه ، وان تزوجته الأنسة كاتى ، فلن يكون خارج نطاق سيطرتها .

فتنهذ ادجار ومضى الى النافذة واطل فى اتجاه كنيسة جيمرتون ، وقال :

- لقد دعوت ربى كثيرا ، ان يجعل ساعة موتى قريبة حيث أرقد بجوار زوجتى هناك . ولكنى بدأت ، الآن ، أخاف هذه الساعة .. لأنى لا أدرى ما أفعله لكاتى ؟ كيف أتركها هكذا ؟ .. اننى لا أهتم إطلاقا بما اذا كان لتتو ابن هيثكليف يستطيع اسماعها ويموضها عن فقدانها لى . لكنه اذا كان عبدا ضعيفا لآبيه ، فلا أستطيع أن أتركها له !

أقبل الربيع ، واقترب على الانتهاء ولم يكن سيدى قد استرد قوته كما كان ، وعاد مرة أخرى لجولاته القصيرة حول أراضيه برفقة ابنته ، التى اعتقدت لقلة

خبرتها ان استعادته للون بشرته ولعان عينيه دليل على
استرداده لصحته .

وكتب مرة أخرى لابن شقيقته معبرا عن رغبته
لرؤيته . ولا أشك في أن حالته الصحية كانت لا تسمح
بذلك . لكن لنتون بعث برد يقول فيه بأن السيد
هيشكليف يعترض على زيارته للمزرعة ، لكنه يأمل أن
يقابل خاله أثناء تجواله مع ابنة خاله أيضا .

ورغم أن ادجار كان متعاطفا مع لنتون ، إلا أنه
لم يستطع تحقيق رغبته ، لأنه توقف عن تجواله مع
ابنته ..

وعندما أقبل الصيف ووجد صحته تتدهور ،
اضطر أخيرا أن يسمح لهما أن يركبا أو يتجولا سويا
مرة كل أسبوع تحت إشرافى . ورغم أنه كان يدخر
جزءا من دخله السنوى حتى تجد كاتى المال الكافى عند
موته إلا أن رغبته الطبيعية كانت في أن تحتفظ كاتى
ببيت العائلة القديم ، واعتبر زواجها من لنتون وريثه
هى الفرصة الوحيدة لذلك .

ولم يدرك بخلده ان ابن اخيه كان يتدهور صحيا
مثله تماما . وبدأت انا نفسى اتخيل ان مخاوفى كانت
زائفة ، وان صحته لا بد ان تكون فى تحسن مستمر ،
خصوصا عندما اقترح الركوب والتجول فى منطقة
المستنقعات . . ولم أدرك مدى معاملة أبيه الشريرة له
عندما رأى ان خطته الجهنمية يهددها الموت بالفشل .

كان الصيف قد مضى أكثر من نصفه ، عندما بدأت
مع كاتى فى اول لقاء مع ابن عمته . كان يوما ثقيلًا
غائبة شمس ، وكان مكان لقائنا قد نحدد عند ملتقى
طريقين ، ولكننا عندما وصلنا الى هناك جادنا مزارع
صغير ارسله لتتولّى ليخبرنا انه موجود بالصدفة فى
هذا الجانب من المرتفعات وسيكون عظيم الامتنان اذا
ذهبنا اليه .

والتقينا به على بعد ربع ميل من منزله . كان
واقفا على الأرض فى انتظار قدومنا ، ولم ينهض الى
ان وصلنا على بعد خطوات منه . واقبل نحونا بصعوبة
ونظر الينا بوجه شاحب .

ونظرت كاتى اليه فى حزن مشوب بالدهشة وراحت
تسأله عن صحته ، وان كانت حالته أسوأ من المعتاد ،
فأجابها لاهنا وهو يسك بيدها وأطرافه ترتجف وكأنه
فى حاجة للمساعدة .

- لا ، أفضل .. أفضل .. !

- لكنك تبدو أسوأ .. انك أنحف ، و ...

فقاطعها بسرعة قائلا :

- اننى أشعر بالتعب . والجو حار على أن نتجول ،
دعينا نستريح هنا . اننى أشعر بالاعياء فى كثير من
الأحيان ويقول أبى أن نموى سريع وقد يكون هذا
هو السبب .

جلست كاتى ورقد هو بجانبها . تحدثت وأنصت
هو . كان واضحا أنه لا يقدر على الحديث . وكان جليبا
عجزه عن حسن الاستماع لما تقوله له وعدم مقدرته على
تسليتها بأى شكل للدرجة أنها لم تستطع أن تخفى
خيبة أملها .

لقد تغير كلية في شخصيته وفي تصرفاته . فلقد أصبح ضعيفا كئيبا ، ولاحظنا شعوره ، وكان هذا اللقاء كان بمثابة عقاب بدلا من ان يكون متعة له ، لذلك لم تتردد كاتى فى ان تقترح علينا الرحيل ، الأمر الذى أثار لنتون بشكل غير متوقع والقى به فى حالة من الخوف . واخذ ينظر الى المرتفعات بقلق متوسلا أن تبقى معه نصف ساعة أخرى على الأقل ، وقال :

- ارتاحى يا نيلل . وأنت يا كاتى لا تظنى أننى مريض . انه الطقس الثقيل والحرارة لا أكثر . لقد تجولت كثيرا قبل مجيئك . اخبرى خالى انى فى صحة طيبة ، ممكن ؟

- سأخبره بانك تقول ذلك !

فقال متجنباً نظرتها المتحيرة :

- ولتأتى ثانية الخميس القادم . . و . . واذا التقيت بأبى فلا تجعله يظن أننى كنت صامتا أو غيبا .. ولا تبدين حزينة ، والا سينفضب .

فسألته :

— هل يعاملك والدك بقسوة حاليا ؟

فنظر لنتون الى ، لكنه لم يجب على سؤالى ، وبدأ الارهاق والالام على وجهه ، وما لبث رأسه أن انحنى فوق صدره وبدأ يشن من الارهاق أو ربما من الالام وبدأت كاتى تجمع بعضا من التوت كنوع من التسلية وسألتنى فى صوت خفيض :

— لماذا طلب رؤيتى ؟ يبدو وكأنه واجب يؤديه ومجبر عليه خوفا من تانيب والده له .

فالاق لنتون فجأة من غلوته وقال :

— اصمتا ! .. اننى اسمع صوت والدى ! ..
انه قادم .

وامسك بفراخ كاتى ، لكنها تخلصت منه ، واحضرت جوادها وصرخت وهى تمسكه :

— الى اللقاء . هيا اسرعى يا نبيل !

وعندما وصلنا البيت ، راح ادجار يستفسر عما تم

في المقابلة ، ونحن بدورنا لم نذكر له الا القليل : اذ ان
كاثي كانت تشك في ابن عمها من حيث مبالفته في
مرضه ، اما انا فكنت في حيرة لما يجب ان اخفيه عنه
وما يجب ان اخبره به .

الفصل الثانى والأربعون

الفخ

ومر اسبوع .. كانت حالة ادجار الصحية تزداد سوءا يوما بعد يوم .. كنا نود ان نخفى الحقيقة عن كاتى ، لكن روحها اللماحة أحسست بما يقترب . وعندما جاء يوم الخميس ، لم تتحمل ان تذكر موعد لقائها مع لنتون . لكنى فعلت ذلك .. وطلبت جوادها وأمرتها بالخروج ، حيث ان حجرة والدها المريض كانت كل عالمها ، وكانت تقضى كل لحظة بجانبه . فوجهها كان قد أصبح شاحبا من المراقبة والأسى ، ولقد أرسلها سيدي بكل سرور الى ما كان يظنه مكانا سعيدا للتغيير ..

كانت لديه فكرة ثابتة ، وهي طالما أن ابن أخته يشبهه في المظهر ، فلا بد أنه يشبهه في التفكير أيضا . وكانت رسائل لنتون التي كتبها ، بلا شك ، بتوجيه من أبيه تبدي بعض ملامح من شخصيته الحقيقية . ولم اصحح له تفكيره ، قائلة لنفسي ما الجدوى في ازعاج سيدي في أيامه الأخيرة بمعلومات هو عاجز عن الاستفادة بها .

كانت كاتى مفجوعة القلب حزنا على أبيها عندما خرجنا في ذلك اليوم للمقابلة لنتون الذي كان بانتظارها في نفس المكان السابق . كانت فيه حيوية أكثر هذه المرة في طريقة استقباله لنا ، لكنها لم تكن نابعة عن ابتهاج ، ولا عن فرح ، لكن عن خوف . . . فقال بعبدة والكلمات تصدر منه بصحوبة :

— لقد تاخرتما ! هل والدك بحالة خطيرة ؟ لقد اعتقدت بأنك لن تأتي .

وقالت كاتى بعد ان تجددت التحية على شفتيها :

— نعم ، ان والدى مريض جدا • ولماذا لم تحلنى
من موعدى اذا كنت تعتقد باننى لن آتى • • ؟

عند ذلك نظر اليها لتتوّن بفجّل وقال :

— ارجوك يا كاتى ، لا تنظرى الى بكل هذا
الغضب ، فانا جبان حقير ، ولكنى لا أستطيع ان اتحمل
غضبك • اكرهى أبى كما تشائين ، ولكن ، اعفى عني !

فصرخت كاتى بغضب :

— كلام فارغ ! انه يرتعد وكأننى سألمسه ! ابتعد
عني ! اترك ملابسى !

ورمى لتتوّن بنفسه على الأرض والدموع تنهمر من
عينيّه وهو يقول :

— آه يا كاتى ! لم أعد أحتمل ! أن تصرفاتى نحوك
ذاتة أيضا • ولا أستطيع ان ابوح لك بشئ الآن !
سيقتلنى هجرك ! حبيبتى ان حياتى بين يديك ! لقد

قلت بأنك أحببتني ، فلملك توافقين .. وليتني أموت
وأنا معك !

فتأثرت كاتى وانزعجت تماما ، وانعتت لتنهض
به وهي تساله :

أوافق على ماذا ؟ .. أن أبلى ؟ قل لى ماذا تعنى
بحديثك ؟ .. اعترف لى بما يشغل قلبك . انك لم تتسبب
فى ايذاءى ، اليس كذلك ؟ انك لم تسمح لاحد أن
يؤذى اعز صديقة لك ؟

فصرخ بصعوبة :

- لكن أبى حددنى ، لا أجرؤ على قول الحقيقة !

- احتفظ بسررك اذن ، فأنا لست خائفة !

وسمعت خطوات بين الزرع ، ثم رايت هيثكليف
يقتررب منا .. وحاطبئى بود قائلا :

- انه لحيت ان اراك بالقرب من منزل ، يا نيلل
.. كيف الحال فى المزرعة ؟

ثم اردف قائلا في صوت منخلف :

- لقد سمعت أن ادجار يلفظ أنفاسه الأخيرة ،
هل هذا صحيح ؟

- نعم صحيح ، ان سيدى يحتضر .

- ومتى سيكون ذلك ؟

- لا أدري ..

واستمر في قوله وهو ينظر الى الصغيرين :

- لأن هذا الغلام يريد هزيمتى . وسأشكر خاله
ان فارق الحياة قبله .

فقلت :

- من الأفضل أن يكون هذا الغلام في فراشه تحت
اشراف طبيب بدلا من تجواله هنا .

فصرخ فيه :

- انهض يا لتون ! ولا تتسلوى على الأرض ..
انهض !

غاص لتتوّن ثانية في خوف عاجز ، عندما نظر اليه
أبوه .. وحاول عدة مرات أن يطيعه ، فكانت قسواه
تخونه . فقال لأهله :

- سانهض يا أبى ، لكن دعنى .. لقد قمت بما
ترغبه منى . آه يا كاتى .. كونى .. كونى بجانبى ،
واعطينى يدك !

فقال والده :

- خذ يدى ، وقف على قدميك . قد تتخيلين
يا آنسة كاتى انى اعامله بقسوة ، لاني هذا الخوف
فيه .. أرجوك أن ترافقيه الى البيت .. انه يرتعد اذا
لمسته .

لا أستطيع ان اذهب الى مرتفعات وذرينج . ان
والدى منعنى .. لتتوّن يا عزيزى ، ان والدك لن
يؤذيك . لماذا أنت خائف هكذا ؟

فقال هيثكليف :

- قم اذن ، يجب أن نحترم نفسك كاتى بطاعتها
لأبيها .. كن شجاعا وهيا بنا الى البيت ..

وتقدم هيثكليف ليمسك بالفلام ، ولكن لنتون
تراجع وتمسك بكاتى وتوصل اليها بشكل يائس ان
تذهب معه - ولم تدرك كنه خوفه -

ووصلنا الى البيت ، فدخلت كاتى ووقفت أنتظر
حتى تساعد الفلام المريض وتجلسه على كرسي ، متوقعة
ان تخرج ثانية فى الحال ، لكن هيثكليف دفعنى لأدخل،
وأغلق الباب من خلفى -

الفصل الثالث والأربعون

فى العيس

لال هيكليف :

- انى وحدى ، وفى حاجة الى رفقتكم ، وسوف
نشرب الشاى سويا • لقد ذهب هيرتون مع البهائم
الى الحقول ، وزيللا ويوسف فى اجازة ترويحوية ••
يا آنسة كاتى ، هل تقبلين ما املك ، رغم ان الهدية
لا تستحق قبورك • انه لنتون ، خذى كرسيا واجلسى
الى جانبه •

تقدمت كاتى من هيكليف وعيناها تومضان ،
ولالت له :

- أنا لا أخافك .. اعطيني هذا المفتاح .. انني
لن أكل ولن أشرب في بيتك حتى لو مت جوعا !

نظر هيثكليف اليها من الدهشة من جراتها ، أو
ربما ذكره صوته وتعبيرها بالشخص الذي ورثت منه
ذلك . وكادت أن تنجح في الاستيلاء على المفتاح من بين
أصابعه لولا تشبثه به .. وقال عندئذ :

- كاترين لنتون ، ارجعي عن ذلك والا سأطرحك
أرضا !

ولم تكثرث كاتني لتحذيره وأمسكت بيده المفلقة
المضمومة على المفتاح .. ولما وجسدت أن أظافرها لم
تسعهما استخدمت أستانها بحدة . فرماني هيثكليف
بنظرة منعتني عن التدخل للحظة ، ثم فتح أصابعه
فجأة وأمسك بها ولطمها عدة لطبات على خديها .

فاندفعت نحوه في هياج وأنا أقول :

- انك شيطان !

ودفعة منه في صدري أسكتتني ، فانا سمعينة
واخذت الهت ، في الحال ، وفقدت التوازن من الضربة

ومن هياجى ، وسقطت على الأرض وأنا أحس بأن رثى
سستنفجران . وانتهى المنظر فى دقيقتين . وتحيرت
كأنى ووضعت يديها على رأسها . وراحت المسكينة
ترتعى ، فاستنفت على المائدة وهى فى حالة ارتباك
تام . وقال الرجل عديم القلب :

— انى أعرف كيف أعاقب الأطفال ، كما ترين .
اذغبى الى لنتون الآن . كما قلت لك وابكى على راحتك
.. سوف أصبح والدك فى الغد — والوالد الأوحى بمد
أيام قليلة .. ومستنالين الكثير من ذلك .. يمكنك
تحمل الكثير !

ركضت كأنى الى بدلا من لنتون ، وركعت واضعة
خدها الملتهب على ركبتى باكية بصوت عال . وانسحب
ابن عمها فى الركن فى هدوء الفار ، بل يمكننى القول
بأنه فرح لأن العقاب لم ينزل عليه . ونهض هيثكليف
واعد الشاى ، وصبه وتناولنى فنجانا ، وقال :

— أزيل غضبك ، وسأعدى دميتهك ودعيتى
الشقية . وسأذهب لأبحث عن جياكما .

وكان أول تفكير لنا عند مغادرته هو كيف نهرب .
كان باب المطبخ مغلقا بإحكام ، أما النوافذ فكانت ضيقة
جدا حتى على جسم كاتي الصغير .

وصرخت عندما ادركت أننا مسجونتان :

- يا سيد لنتون . انك تعرف ما ينوي عليه
والدك الشرير ، وعليك أن نخبرنا بكل شيء .

ولالت كاتي :

- أجل يا لنتون . لقد حضرت الى هنا من أجلك !

فاجاب :

- اعطيني فنجانا من الشاي . انني أشعر
بالمطر . سأخبرك بكل شيء . . . نيل ! اذهبي بعيدا
عني . لا أحبك أن تقف أمامي هكذا ! وانت يا كاتي
أن دعوك تتساقط في فنجاني ! انني لن أشربه .
اعطيني فنجانا آخر .

دفعت كاتى بفنجان آخر له ، ومسحت دموعها .
وأحسست بالاشمزاز من هدوء الغلام البائس الذى
لم يعد فى حالة الرعب التى كان فيها . وبعد احتسائه
قليلا من الشاي قال :

— ان والدى يرغب فى زواجنا .. ويخشى موتى
إذا انتظرنا ، لذلك فعلينا أن نتزوج فى الصباح ،
وعليك أن تبقى هنا الليلة .

فقلت :

— تتزوجا ؟ ولماذا تعتقد أن فتاة جميلة مثلها توافق
على الزواج من فرد مثلك ؟ .

فنظرت كاتى حولها ببطء ثم قالت :

— نبقى هنا طول الليل ، نيللى ، سوف أحرق
الباب ، وأهرب !

فانزعج لنتون ثانية خوفا على نفسه وقال لكاتى :

— ألا تتزوجينى وتنقذينى ؟ أه يا كاتى الحبيبة ..

لا تذهبي وتتركيني ! ارضعني لرغبة والدي .
أرجوك !

وهنا عاد هيثكليف ، وقال :

— لقد سرح جوادا كما في الحقول .. وأنت يالنتون
أذهب الى غرفتك . ان زيللا لن تأتي الليلة ، وعليك
أن تغير ملابسك بنفسك .

وفتح الباب ، فاندفع ابنه خارجا مثل جرو مذعور ،
ثم أغلق الباب بإحكام .. واقترب هيثكليف من المدفأة
حيث كنا واقفين في صمت . ونظرت كاتي اليه ورفعت
يدها الى خدها ، فراح هيثكليف ينظر اليها بشراسة
وقال :

— آه .. انك لا تخافين مني ؟

— بالعكس .. انني خائفة الآن . لأنني اذا بقيت
فسيحزن أبي حزنا قد يقضى عليه ، دعني أذهب ،
وأعدك بأنني سأتزوج لنتون ، فوالدي يرغب في ذلك ،
وأنا أحبه ، فلماذا ترغميني على شيء أرغب القيام به
بمحض ارادتي .

فصرخت :

- دعيه يرغبك ، ولكن هناك قانون فى البلاد
والحمد لله ، رغم أننا نعيش فى منطقة نائية .

فقال الرجل الشرير :

- اميكنى ! لا أريد أن أسمع منك أى كلام ! و أنت
يا كاتى ، انه ليتمنى جدا أن أرى والدك حزيناً . أما
بخصوص وعدك بالزواج من لنتون ، فلن تفادى هذا
المكان حتى يمكن ذلك .

فأالت له كاتى وهى تبكى :

- اذن ، دع نيللى تذهب ، لتطشش والدى عني ،
وتخبره اننى فى أمان . نيللى ، انه سيعتقد بأننا
ضللنا الطريق . ماذا سنفعل ؟

فأجاب هيثكليف :

- كلا ! بل سيعتقد بأنك تميت من خدمته وهربت
لتروحي عن نفسك قليلاً . يجب أن تعترفى بأنك دخلت

بيتى بحض ارادتك متقاضية عن رغبات والدك . ابكى
فبكائك لا يهمنى .

ورماها هيثكليف بنظرة ازدراء . وكنت سأخبره
برأى فى سلوكه . ولكن أحرصنى تهديده بأن يحبسنى
بمفردى اذا تفوحت بكلمة واحدة .

خيم الظلام . وسمعنا أصواتا عند البوابة .
فأسرع مضيفنا خارجا فى الحال . كان سريع الفهم
والتصرف . كنا عكسه تماما . استمر الحديث على
البوابة لدقائق عاد بعدها بمفرده .

فقلت لكاتى :

- اعتقد أنه هيرتون . من يدري عله يساعدك .

وقال هيثكليف :

- ثلاثة من خدم مزرعتكم قد حضروا للبحث
عنكم . كان يجب أن تفتحوا النافذة وتستجدان بهم .

وعندما علمنا بهذه الفرصة التى فقدناها لم نستطع

التحكم فى حزننا • وتركنا نبكى حتى الساعة التاسعة،
عندما امرنا أن نصعد لننام فى غرفة زيللا •

ولم يمتض لنا جفن ، اذ جلست كاتى بجانب
النافذة الضيقة نراقب الصباح • وجلست انا اؤنب
نفسى على فشل فى واجبى •

وفى الساعة صباحا نادى هيثكليف على كاتى ،
وقمت لأتبعها • لكنه اخلق على الباب بالمفتاح قائلا :

— اصبرى ، سأرسل لك الافطار •

وتركنى اصرخ دون جدوى • وبعد ثلاث ساعات
تقريبا سمعت صوت خطوات • ودخل هيرتون حاملا
طعاما يكفينى طول اليوم • فقلت له :

— انتظر دقيقة واحدة !

فقال وهو يفادر الغرفة :

— كلا •

وظللت مسجونة هناك أربعة ايام وخمس ليل
لم أر خلالها احدا سوى هيرتون مرة كل صباح لاحضار
الطعام ، وكان لا يستجيب لأية محاولة منى لاستفراغ
عطفه ..

الفصل الرابع والأربعون

السيد جرين يتأخر

وفي صباح اليوم الخامس ، أو ربما بعد الظهر ،
اقتربت خطوات مختلفة .. ودخلت زيللا الغرفة
وصرخت قائلة :

- آه يا عزيزتي مسز دين .. ان الناس في
جيمرتون يقولون أنك غرقت في أحد المستنقعات مع
الآنسة كاني ، لكن سيدي هيثكليف أخبرني بأنه تم
العثور عليك وجعلك تقيمين هنا . وكم بقيت في الماء ؟
.. أرجو أن تكون حالتك قد تحسنت .. هل أنقذك
سيدي يا مسز دين ؟

- ان سيدك لوغد لثيم !

.. ماذا تعنين ؟ .. انها ليست قصة . انها
ما يقوله أهل القرية . وعندما سمع بها سيثى ابتسم
وقال ان مياه المستنقع قد دخلت في رأسك وجعلتك
تقومين بتصرفات غريبة .. ولذلك احتجزك في أمان
حتى تشفين . وأخبرني بأن أطلق سراحك ، وأخبرك
بأن تذهبي الى المزرعة في الحال وتحمل رسالة منه بأن
السيدة الصغيرة سوف تتبعك في الوقت المناسب
لحضور جنازة سيدك .

فصرخت :

.. هل مات السيد ادجار ؟ زيللا ! تكلمي !

.. كلا .. كلا .. اجلسي .. استريحى لحظة ..
لازلت تحسين بالاعياء من جراء مياه المستنقع ، مسكينة!
انه لم يمت . والطبيب يقول انه سيعيش يوما آخر .
لقد قابلته في الطريق ، وسألته بنفسى .

جمعت حاجياتي وأسعرت بالهبوط ، ولم أجد من
يخبرني عن مكان كاتي . كانت الشمس تغمر المكان
وكان الباب مفتوحا على مصراعيه . وترددت في الخروج ،

عندما سمعت سعالاً خفيفاً ، فالتفت لأرى لنتون واقفاً
على مقعده يمتص مصاصة من الحلوى ، فسأله :

- أين الأنسة كاتى ؟

فاستمر فى المص كالطفل الرضيع . فسأله

لانية :

- هل ذهبت ؟

- لا ، انها فى الطابق العلوى ، ولن نسمح لها

باللحاح !

فقلت :

- لن نسمح لها ! أرشدنى الى حجرتها فوراً !

فاجاب :

- طلب منى أبى ان لا اكون لطيفاً معها . اذ انها

اصبحت زوجتى ، ومن العار ان تتركنى .. انه يقول

بانها تريدنى ان اموت لتحصل على كل المال ، لكنها

لن تحصل عليه ، ولن تذهب الى بيتها .. مهما بكت ..

وعاد الى مصاصته مرة أخرى وأخلق عينيه .

- هل نسيت محبتها وما قامت به نحوك في الشتاء الماضي ، عندما أعلنت حبك لها ، وأخذت تحضر لك الكتب وتغني لك وتأتي لزيارتك أثناء مرضك رغم الطقس السيء ؟ .. والآن تصدق ما يقوله والدك ، وتنضم اليه ضدها ؟

فانتزع الحلوى من بين شفثيه وقال بشكل منفر :

- لا أستطيع الجلوس معها ، ليس بوسمي أن أحتمل صراخها وبكاءها فهي تشن طوال الليل ، ولا أستطيع النوم ! .

- هل السيد هيثكليف في الخارج ؟

- انه في الفناء ، يتحدث مع الطبيب الذي يقول بأن خالي يحضر . اننى سميت بهذا النبأ ، لأننى سأكون سيد المزرعة من بعده .. وكأني تحدثت عنها دائما على أنها بيتها ! انها ملكي : أبى يقول بأن كل ما لديها ، فهو ملكي . لقد عرضت على كل كتبها الحلوة ،

وطيورها الجميلة ، وجوادها ، اذا حصلت على مفتاح
 حجرتنا وتركناها تخرج ، ولكننى قلت لها بانها لا تملك
 شيئا لتعطيه لى ، فكل ما تعرضه على أصبح ملكى ..
 عندئذ اخذت تصرخ واخذت صورة صغيرة من رقبتها ،
 بل صورتين فى علبة ذهبية : أمها على جانب وخالها على
 الجانب الآخر ، عندما كانا صغيرين . فقلت لها انهما
 ملكى ايضا ، وحاولت أن احصل عليهما منها . ولكن
 السخيفة لكزتنى بشدة ، وعندما سمعت قدوم أبى
 خافت وقسمت العلبة قسمين واعطتنى صورة والدتها
 وحاولت أن تخفى الأخرى ، ولكن أبى أخذ الصورة
 منى ، وسحق الأخرى تحت قدمه ، وضرب كاتى حتى
 طرحها أرضا .

— وهل سررت ؟

— لم أنظر .. انى أغلق عينى كلما يضرب أبى
 أى شىء .. وأقد ضربها بشدة . لكنها تستحق العقاب
 لأنها لكزتنى . وعندما ذهب أبى لاحظت جرحا فى
 خدعها ، وقامت بجمع عظام الصورة ، ولم تتحدث معى
 منذ ذلك الحين . ربما لا تستطيع الكلام بسبب الألم .

- هل باستطاعتك الحصول على المفتاح ؟

- نعم ، عندما أكون فى الطابق العلوى ، أما الآن
فلا أستطيع الصعود .

- فى أى غرفة هى ؟

- آه ، لن أخبرك ! فهذا سر من أسرارنا .

وأدار وجهه ، وألقى عينيه ثانية . ففكرت بأنه
من الأفضل أن أغادر بسرعة دون أن أرى هيثكليف ،
وأحضر نجدة من المزرعة لسيدتى الصغيرة . وعند
وصولى الى البيت اندعش الحشم لرؤيتى وفرحوا لسماعهم
بإنجاة كاتى . وتوجهت الى غرفة ادجار لننون . وكم
وجدته متغيرا ، وكان يفكر فى كاتى ويتمتم باسمها .
فهمست له :

- ان كاتى بصحة جيدة وستأتى الى هنا ربما
الليلة .

فقام من فراشه جالسا ، ونظر بلهفة حوله ثم
رقد ثانية فاقد الوعي .

وعندما استرد وعيه أخبرته بحبسننا وسببه ،
ولم أشوه صورة لنتون قدر استطاعتي كما أنى لم
أصف له كل تصرفات أبيه القاسية .

فشعر بأن من أحد أهداف عدوه الحصول على
ماله ، وكذلك أرضه وبיתه لابنه أو بالأحرى لنفسه . .
ومع ذلك فلم يستطع سبدي أن يفهم لماذا لم ينتظر
موته ، وليست لديه فكرة عن حقيقة مرض ابن أخته .
ولكنه شعر بأنه من الأفضل أن يعدل وصيته . فبدلاً
من ترك مال كاتى بين يديها ، عزم على أن ياتمن بعض
الأشخاص الشرفاء عليه ، لاستخدامها أثناء حياتها
ولأولادها ، إذا أنجبت ، بعد وفاتها . وبذلك لن يؤول
المال إلى هيكلييف ، إذا مات لنتون .

وأرسلت في استدعاء المحامى ، كما أرسلت أربعة
رجال مسلحين إلى المرتفعات للعمل على إعادة كاتى .
وبعد وقت طويل عاد الأول ليقول أن السيد جرين غادر
بیته ، حيث لديه بعض الأشغال في القرية ولكنه سيأتى
للمزرعة قبل الصباح . وعاد الرجال الأربعة بدون

صيدتي ، قائلين أنها مريضة وليس بإمكانها مقابلة
غرفتها . . . فقلت بتوبيخ هؤلاء الأغبياء لتصديقهم مثل
هذه القصة ، وقررت أن أذهب بنفسى فى وضع النهار
مع مجموعة من الرجال لاحتضارها .

ولحسن الحظ لم أقم بهذه الرحلة . . . فى الساعة
الثالثة صباحا ، سمعت طرقات على الباب ، فاعتقلت
أنه المحامى وهبطت لأفتح له . فإذا بكاتى حبيبتى الحلوة
توصى على وتعاتقنى وهى تبكى قائلة :

- نيللى ! نيللى ! هل والدى بخير ؟

ولم أتجمل أن أحضر لقائهما ، ودخلت عليهما
بعد ربع ساعة فرايتهما فى صمت يائس . لقد مات
وهو يقبلها على خدها . وظلت كاتى بجانب فراشى
الموت ، الى أن أجبرتها على أن تتركه ، لتأخذ قسطا من
الراحة . ثم ظهر المحامى متأخرا عن مواعده . لقد
مر على مرتفعات وذرينج وباع نفسه لهيشكيليف ، وكان
هذا هو سبب تأخره . . . !!

واخذ يأمر وينهى جميع من فى البيت . وقام
بطرده جميع الخدم والعاملين فيما عداى وأسرع بتشجيع
الجنائز . . . وسمح لكاتى ، زوجة لنتون هينكليف حاليا
ان تبقى بالمزرعة حتى يرقد والدها فى منسواه الأخير
بجوار والدها عند مشارف منطقة المسنقعات . .

الفصل الخامس والأربعون

لقد اقلقتني بدون شفقة

وفي مساء اليوم التالي للجنائز جلست مع
سيدتي الصغيرة في المكتبة ، وراحت تحدثني عن طريقة
هربها من المرتفعات بعد أن حرضت لنتون لمساعدتها .
واتفقنا على أن أفضل ما يمكن أن يحدث لها ، هو أن
نوفق في أن تعيش في المزرعة ، على الأقل خلال مدة
حياته ، ويأتي هو ليلتحق بها هنا ، وأهل أنا كمديرة
المنزل ، عندئذ اندفعت إحدى الخدم التي لم تغادر مع
المطرودين بعد وقالت أن هيثكايف قادم عبر الفناء .

ودخل دون استئذان ، فهو السيد ، وسار دون

أن يتفوه بكلمة . كانت نفس الغرفة التي جاء إليها :
كضيف . من قبل ثمانية عشرة عاما . لقد غير الزمن
من مظهره قليلا . كان هو نفسه . الا أنه يتحكم أكثر
في تعبيرات وجهه الأسمر . وأصبح أكثر وزنا ..
نهضت كاتى . وفكرت في الهرب عندما راته .

فقال وهو يصك بلواعها :

- قفى . لا فرار بعد الآن ! .. لقد جئت لمرافقتك
الى البيت ، وأمل أن تكونى ابنة مطيعة ، ولا تشجعى
ابنى على مزيد من العصيان . فقلق عانى من ذلك
كثيرا .

فقلت له متوسلة :

- لماذا لا تدع كاتى ، لتعيش مع السيد لتتوون
هنا ؟

- انى سأعرض هذه المزرعة للإيجار ، كما انى
أريد أولادى معى .. بالإضافة الى أن هذه الفتاة مدينة

لي بخدماتها مقابل المأكل والمأوى • ولن أتركها تعيش
حياة الكسل والدعة • أسرع واستعدى •

- سأفعل •• فلنتون هو كل ما لدى لأحبه في
الدنيا • ورغم أنك قمت بما تقدر عليه لتجعلنا نكره
بعضنا ، إلا أنك لم تنجح !

- لست أنا الذى سأجعله بفيضا لديك •• بل
هو نفسه •• انه يشعر بالمرارة ازاء ذهابك عنه ، لقد
سمنته يرسم صورة جميلة لما قد يقوم به لو كانت
صحته أفضل •

- اعرف ان له طبيعة سيئة ، فهو ابنك • أما
طبيعتي فهي أفضل لأنها تسامح • واعرف انه يحبني
ولذلك السبب أحبه • ولكنك يا سيد هيثكليف ليس
لديك من يحبك • أنك بائس ، اليس كذلك ؟

فقال حموها :

- ستدعين بعد قليل اذا وقفت هنا أكثر من
ذلك • اذهبي واحضري حاجياتك •• !

فذهبت وكلها ازدرء ، وفي غيابها ، رجوت من
هينكليف أن أحل محل زيللا بالمرتفعات ، لكنه لم
يوافق وطلب مني الصمت ، ثم راح يقلب نظره ، لأول
مرة ، في الغرفة وفي الصور ، وبعد أن تفحص الصورة
الزيتية الرائعة لزوجته ادجار قال :

ـ سأخذ هذه الى البيت ، لا لأنني احتاجها ،
ولكن ...

ثم التفت بسرعة الى المدفأة وبابتسامة غريبة
واستمر قائلاً :

ـ سأخبرك بما فعلته بالأمس ! لقد طلبت من
الرجل الذي حفر مقبرة ادجار لنتون أن يزيح
التراب عن غطاء تابوتها ، وفتحته ، ورايت وجهها
ولكن حفر القبور قال انه سيتغير اذا هب عليه الهواء ،
وتحركت من مكاني بعد جهد كبير ، ولكني هشمت أحد
جوانب التابوت وغطيته .. وأجزلت العطاء لحفر القبور

ليسحب تابوتها بعيدا عن تابوت زوجها عليه اللعنة ..
وطلبت من الرجل أن يضع تابوتي أنا - بعد أن أموت -
الى جوارها ..

فصرخت فيه قائلة :

- انك فظيع جدا يا سيد هيشكيليف . ألم تخجل
من اطلاق الموتى ؟

- اننى لم اقلق أحدا ، وأرحت نفسى قليلا .
أقلقتها ؟ .. لا ! لقد أقلقتنى ليل نهار مدة ثمانية عشر
عاما .. بدون توقف .. بدون شفقة .. حتى الليلة
الماضية .. ففي الليلة الماضية كنت فى سلام . حلمت
بأنى نائم النومه الأخيرة وقلبى توقف مع قلبها وخدى
تجمد على خدعا !

واستمر قائلا :

- لقد بدأ هذا الشعور الغريب بطريقة فريدة .

انت تعلمين اننى كنت هائجا بعد موتها ، واخذت ادعو دائما يوما وراء يوم أن تعود الى .. روحها .. اننى اؤمن تماما بالأرواح ، وعلى يقين اكيد بأن الأرواح قادرة على الحضور ، بل هى موجودة بالفعل بيننا ! .. وفى يوم وفاتها ، عطلت الثلوج .. وفى المساء ذهبت الى فناء الكنيسة حيث المقابر ، وكان البرد لاجما ، وقلت لنفسى :

- سأضعها بين ذراعى ثانية ! اخذت معولا وبدأت الحفر .. وصلت الى التابوت .. وكنت على وشك فتحه ، عندما بدا لى اننى سمعت تنهيدة من فوق التابوت ، فاقتربت من المقبرة وانحنيت ، وجال فى خاطرى ، لو أمكننى رفع التابوت ، أود لو غطينا سويا وأهالوا علينا التراب وكانت هناك تنهيدة أخرى بالقرب من اذنى ، وشعرت بأنفاسها الدافئة .. كنت واثقا من عدم وجود أحياء من لحم ودم بالقرب منى ، ولكنى شعرت بكل تأكيد أن كاتى كانت هناك .. ليست تحت التراب بل فوقه .. عندك لغبرنى

احساس بارتياح مفاجيء افعم قلبي وكل جزء من كياني
.. فكانت راحتي لاتوصف .. وكانت حاضرة معي وانا
اهبل التراب ثانية على القبر ، بل وقادتني الى البيت .
قد تضحكين .. لكنى كنت على يقين ، أن فى استطاعتى
أن اراها هناك ! .. كان الباب مغلقا .. اذ كان
هندى الاحق وزوجتى يعتقدان باننى دخلت . اذكر
اننى وقفت لأركله ثم اسرعت الى الطابق العلوى ..
ونظرت حول نافذ الصبر .. فشعرت بها بجانبى ..
كنت أستطيع رؤيتها تقريبا ولكنى لم أستطع ! ..
ومنذ ذلك الحين وانا اقاى من هذا العذاب المرير !
واذا جلست فى البيت كان يبدو لى لو خرجت لمقابلتها
لقابلتها .. لابد انها فى مكان ما بالمرتفعات .. كنت
على يقين ! وعندما نمت فى غرفتها ، لحظة ما انمضت
عينى كانت اما تقف خارج النافذة او تدخل الغرفة
او حتى تسند رأسها الغالى على نفس الوسادة ، كما
كانت تفعل وهى طفلة . واعتدت أن افتح عينى مئات
المرات كل ليلة ليخيب ظنى دائما ! ومنذ أن رايتها
وانا فى سلام .. نوعا ما .. انها طريقة غريبة للقتل

ببطء ، مع شبح الأمل ، عبر ثمانية عشرة عاما !

توقف هيثكليف عن حديثه ومسح جبهته وكانت
عيناه مثبتتين على المدفأة لم يكن قاطب الجبين كالمعتاد ،
فخلف ذلك من قسوة تعبيراته وصبح عليه بنظرة قلقة
غريبة . كان وكأنه يخاطبني ، بينما لفت أنا بالصمت
التام . وبعد فترة وجيزة ، نظر الى الصورة مرة أخرى ،
وانزلها وأسندها على الأريكة .

ودخلت كاتي اثناء ذلك ، وأعلنت استعدادها
لمرافقته ، وطلبت تجهيز جوادها .

فقال هيثكليف لي :

— ارسل الصورة غدا !

ثم استدار نحوها وأضاف قائلا :

— لا داعي لجوادك . فقدماك مستحلبانك ، هيا !

فهمست سيدتى الصغيرة الغالية :

- وداعا يا نبيل .. تعال لترينى !

لقال أبوها الجديد :

- احذرى القيام بذلك !

وتأبط ذراع كاتى ، وانصرفا مسرعين .

الفصل السادس والأربعون

معتزة بنفسها كالأميرة

كانت الأنسة كاتى قد تزوجت فى الصيف الماضى فقط . وقمت بزيارة المرتفعات عدة مرات . ولكنى لم أرها منذ أن ذهبت الى هناك . لم يكن يسمح لى يوسف بالدخول ، قائلا بأنها ليست على مايرام وأن السيد غير موجود . وأخبرتني زيللا بالطريقة التى يعيشون بها ، وهى تعتقد أن كاتى متكبرة ، لذلك لم تسترح اليها .. وقالت :

— أول شيء عملته عند وصولها أن ركضت الى الطابق العلوى بدون حتى اللقاء تحية المساء لى أنا ويوسف . وأغلقت الباب وراءها وبقيت حتى الصباح .

ثم دخلت أثناء تناول هيثكليف طعام الافطار مع هيرتون
وطلبت استدعاء الطبيب حيث أن ابن عمها مريض
جدا ، فاجابها هيثكليف :

— نحن نعلم ذلك ، ولا أحد هنا يمبا بما يحدث
له . أما اذا كنت تعابين فلتقومى بدور الممرضة ، والا
فاغلقى عليه الباب واتركيه .

ثم جاءت لى فقلت لها لقد اخذت نصيبي مع هذا
الغلام ، ولدى أعمال كثيرة أقوم بها ، أما هى فعليها أن
تقوم بخدمته . ولا أدري كيف سارت الأمور ، لكنه كان
يشن ليل نهار وهى لم تنل الا القليل من الراحة مع
شحوب وجهها وتقل عينها . وكانت تاتى الى المطبخ
أحيانا وكأنها تتوسل المساعدة ، ولكنى لم أستطع
مطلقا أن أعصى أوامر السيد ، يا نيللى ، وهذا ليس من
شأنى . . كنت أشفق عليها بال تأكيد ، ولكننى لم أكن
أريد أن أفقد وظيفتى ! وأخيرا ، ذات ليلة ، حضرت
بجسارة ودخلت حجرتى وهى تقول :

- أخبرني السيد هيثكليف بأن ابنه يحضر ..
انهض في الحال وأخبريه .

وتركتني ، ولم استجب لطلبها ، وقلت لنفسي
« لا بد أنها مخطئة » ، ورقدت ، ولكنني استيقظت بعد
قليل عندما سمعت صوت الجرس يقرع من غرفة لنتون.
وأمرني هيثكليف أن أستطلع عن السبب ، فأبلفته
رسالة كاتى .

وبعد دقائق قليلة أتى بشمعة مشتعلة وتوجه الى
غرفتهما .. كانت كاتى تجلس بجوار الفراش ، واقترب
حموها بالشمعة المشتعلة من وجه لنتون ، ولمسه ..
كان قد فارق الحياة ، ثم استدأر نحو كاتى وقال :

- والآن ، كيف تشعرين ؟

- أنه في أمان ، وأنا حرة ، ولكنك تركتني
أصارع طويلا مع الموت بمفردي ، حتى أتى أصبحت
لا أشعر ولا أرى إلا الموت فقط .

وقدمت لها قليلا من النبيذ ، واستيقظ هيرتون

ويوسف بسبب الضجة ودخلا . . كان يوسف فرحا
لرحيل الغلام ، على ما أظن ، وانزعج هيرتون بعض
الشيء ، رغم أنه كان مشغولا بالحملة في كاتى .

وفى الصباح قالت بأنها مريضة وبقيت في الطابق
العلوى لمدة أسبوعين .

كانت زيللا تزورها مرتين في اليوم . وكانت
تود أن تتودد لها أكثر لكن كاتى كانت ترفض عطفها
المتزايد بكبرياء .

وزارها هيثكليف ليطلعها على وصية لنتون .
لقد كتب جميع ممتلكاته وكذلك ما تملكه هي لأبيه .
لقد تم تحرير الغلام أو تهديفه للقيام بهذا العمل
أثناء غيابها عند وفاة خاله . ولم يستطع أن يتدخل في
الأرض ، لكونه تحت السن القانوني ، واحتفظ هيثكليف
بها في حيازة الزوجة وحيازته هو أيضا . واعتقد طبقا
للقانون ، وعلى كل فكانى ليس لها أصدقاء ولا مال ،
فلا تستطيع أن تزوجه في ممتلكاته .

واستمرت ذيللا قائلة :

- ولم يقترب احد من بابها سوى . وأول مرة
نزلت فيها كانت بعد ظهر يوم من أيام الأحاد ، حيث
قالت أنها لم تعد تحتل البرد في الطابق العلوى .
وكان هيثكليف قد ذهب الى مزرعة تراش كروس وكان
يوسف فى الكنيسة ، واخبرت هيرتون أن كاتى ابنة
عمته تريد أن تجلس معنا . فاحمر وجهه ، وألقى
ببصره على يديه وملابسه ورأيته يريد أن يبدو محترما ،
فضحكت وعرضت أن أساعده فى ترتيب مظهره ، وقبل
فى النهاية .

ودخلت كاتى ، باردة كالثلج ، تسير معتزة
كالأميرة . ونهضت وقدمت لها مكانى على الكرسي الوثير
ذى المساند . كلا ، اذ أشاحت بوجهها ازاء أدبى .
ونفض هيرتون أيضا وطلب منها أن تاتى وتجلس
بالقرب من المدفأة . فأحضرت كرسيها لنفسها ووضعت
على مسافة من كليتنا .

وجلسنا الى أن سرى النصف فى أوصالها ، فبدلت

تنظر حولها ، فوجدت عددا من الكتب فوق أحد الرفوف
العالية ، وعندما لاحظ هيرتون عدم قدرتها على الوصول
إلى أحدها ، استجمع شجاعته أخيرا ليقدم مساعدته •

لم تشكره ولكنها قبلت مساعدته ، وكان جسورا
بما فيه الكفاية ليقف خلفها أثناء تفحصها للكتاب ، بل
وأخذ يشير لها لما يحبه في بعض الصور القديمة • ولم
يتأثر من طريقتها الجافة التي انتزعت بها الصفحة من
بين أصابعه • ورضى مكتفيا بأن ينظر إليها بدلا من
الكتاب • وبالتدريج تركز انتباهه على دراسة شعرها
الحريري الكثيف • لم يكن يرى وجهها ولا هي أيضا ،
وكطفل صغير انتقل من الحلقة إلى اللس • فوضع يده
على صغيرة من شعرها ومر بها برقة ، وكأنها طائر من
الطيور التي اعتاد أن يذبحها بالسكين • فاستلذت
نحوه في غضب قاتلة :

— اذهب من هنا حالا ! كيف تجرؤ على لمسي !
أنا لا أحملك !

ابتعد هيرتون وهو يبدو كالفبي • وجلس في

هنوء • أما هي فواصلت التقليل في الكتب • وأخيرا
جاء نهوى وهمس قائلا :

- قول لها أن تقرأ لنا شيئا يا زيللا •• فانا أحب
سماع صوتها •

فقلت لها على الفور :

- ان السيد هيرتون يرغب الاستماع لقراءتك ،
وسيكون ممتنا لك !

فنظرت غاضبة وقالت :

- ليكن مفهوما لكم جميعا اننى ارفض اى مظهر من
مظاهر العطف ! فعندما كنت مستعدة لأضحى بحياتى
مقابل كلمة عطف واحدة منكم ، كنتم تتجنبونى • لقد
اضطرت للنزول الى هنا بسبب البرد ، لا لكى امتعكم
او استمتع برفقتكم !

فقال هيرتون :

- لكنى عرضت اكثر من مرة وطلبت •• وطلبت

من السيد هينكليف أن يسمح لي بمساعدتك في خدمة
لنتون عندما كان مريضا ...

فقال سيدتي :

- اسكت ! سأخرج من الغرفة حتى لا أسمع
صوتك البغيض .

واستمر الطقس باردا ، واضطرت لذلك أن
ترافقنا أكثر وأكثر . ولكن منذ ذلك الحين أصبحت
لا أتودد اليها .

وعند سماعي الى هذا السرد من زيللا ، قررت أن
أترك وظيفتي وأخذ بيتا صغيرا وأدعو كاتي للعيش
معي ، لكن السيد هينكليف لم يسمح بذلك ، ولا أجد
أى علاج الا اذا تزوجت ثانية .

وهذه يا سيد لوكوود هي الحالة الراهنة من
الأمر في مرتفعات وذرينج .

فأصل تفريح العائلة

(سبتمبر ١٨٠٢)
برويها السيد لوكود

الفصل السابع والأربعون

زيارتي الثانية للمرتفعات

وفي الحال بعد أن عادت لي صحتي العام الماضي ،
غادرت مزرعة نراش كروس ، وعدت الى لندن . إذ لم
تناسبني العزلة ولا هذه المنطقة القفر ، وبسرعة نسيت
كل شيء عن فترة اقامتي هناك .

ولكنني ، في شهر سبتمبر الحال ، دعيت لحضور
موسم الصيد في الشمال . وفي طريقني الى بيت
صديقي صاحب الدعوة ، وجدت نفسي بدون توقع على

بعد خمسة عشر ميلا من جيمرتون ، فتولتني رغبة
مفاجئة لزيارة مزرعة تراش كروس .

وخطرت لي بأن أمضى الليلة تحت سقف البيت
الذى استأجرته ، بدلا من الفندق . بالاضافة الى
الاستغناء عن يوم بسهولة لانها الموضوعات المعلقة مع
صاحب البيت ، حيث أنني قد أنذرته بعدم تجديد
الاجار عند انتهاء سنة الاجار المتفق عليها في نهاية
شهر أكتوبر القادم .

وصلت الى فناء المزرعة ، فرايت امرأة عجوزا
تجلس فوق سلال البيت ، فسألتها :

- هل السيدة دين بالداخل ؟

فأجابت قائلة :

- السيدة دين ؟ كلا ! انها لا تعيش هنا . انها
تعيش في المرتفعات الآن .

طلبت منها ان تجهز لي غرفة لأرتاح فيها الليلة
واحدة ، وتركت المكان وتوجهت نحو الطريق المجرى

المؤدي الى بيت السيد هيتكليف ، وكانت الشمس على
وشك الخيب . .

وفي هذه المرة لم يكن على أن أفك سلسلة البوابة
ولا الطرق عليها . وكانت رائحة حلوة لزهور الحديقة
تعبق الجو . وكانت الأبواب والنوافذ مفتوحة ، فأمكنني
رؤية وسماع اثنين من أهل البيت وهما جالسين في
الداخل .

صوت في حلوة رنين الجرس الفضي ، كان يامر
شخصا آخر ليقرا بعض الجمل بشكل صحيح . وبدأ
القراءة صوت خشن . وكان المتحدث شابا يرتدي
ملابس محترمة ، ويجلس وأمامه كتاب على المائدة .
وكان وجهه الوسيم يشع بالفرح ، وعيناه تتجولان بصبر
نافذ من صفحة الكتاب الى يد بيضاء صغيرة على كتفه ،
تقف صاحبها خلفه ، وخصلات شعرها اللامع فاتح
اللون يلامس شعره البني من حين لآخر ، كلما انحنت
لتفحص دراساته . ومن حسن الحظ أنه لم يكن يستطيع
رؤية وجهها الفاتن . والا لما استطاع أن يتابع بهذا
الثبات .

وانتهى الدرس بعد تصحيح بعض الأخطاء ، ولكن التلميذ طالب بمكافأة ، فتلقي بعض قبلات ردها بكرم .. ثم خرجت كاتى وهيرتون ، وهما من كنت أراقبهما ، ووقفا عند الباب ، ومن حديثهما فهمت أنهما على وشك الذهاب فى جولة فى منطقة المستنقعات .. فبدى لى أن ظهورى لن يكون موضع ترحاب .

واستدرت باحثا عن المطبخ ، الذى كان بابهُ مفتوحا أيضا . وكانت تجلس فيه صديقتى القديمة نيللى دين تخطيط وتغنى ، وكان صوت يوسف يقاطع أغنيتهما بين حين وآخر . ولما رأتنى ، **لفزت واللغة وهي تصرخ :**

— غير معقول . السيد لوكوود ! كيف فكرت فى العودة بدون سابق انذار ؟ كل شيء مقفول عليه بالمزرعة .

فاجبت :

— اننى مسافر ثانية غدا ، ولكن كيف جئت الى

هنا ؟

لقد تركت زيللا وظيفتها ، وطلبني السيد
هيكليف لأحل محلها ، وذلك بعد ذهابك الى لندن ،
يا سيدى .. هل أتيت من جيمرتون ماشيا ؟

- بل من المزرعة ، واثناء تجهيزهم لمبیتی هناك ،
أود ان أصفى أعمالي مع سيدك !

- أية أعمال يا سيدى ؟ لقد خرج !

- بخصوص الايجار .

- آه ! اذن فلا بد ان تصفيها مع كاني أو بالأحرى
معى . فهي لم تتعلم ادارة شئونها بعد ، وانا أقوم
بتمثيلها ، ولا يوجد شخص آخر .

واستمرت قائلة :

- آه ! انك لم تسمح بوفاة هيكليف ؟!

- هيكليف مات ؟! متى ؟!

- منذ ثلاثة أشهر .. اجلس ، وسأخبرك عن كل
شيء . لكن انتظر ! .. انك لم تأكل شيئا ، اليس
كذلك ؟

- لا أريد شيئا • لقد طلبت منهم أن يجهزوا
العشاء بالمزرعة • اجلسي ، اجلسي • لم أفكر إطلاقا
في موته : هل تنتظرين عودتهما بعد قليل ؟! • أقصد
الفتى والفتاة •

- كلا ، اني أوبخها كل مساء على تجولهما لساعة
متأخرة ، ولكنهما لا يستمعان لكلامي •

ثم أخبرتنى بالنهاية الغريبة لهيثكليف ••

الجزء الثالث

ثمرة الانتقام عذبة المذاق

(فبراير - أبريل ١٨٠٢)

الفصل الثامن والأربعون

الا يمكن أن تتحدثي معي ؟

في غضون أسبوعين من مغادرتك للمزرعة ياسيد
لوكوود ، استدعوني للذهاب الى مرتفعات وذرينج
فامتثلت وأنا مسرورة لأجل كاتي . وأول لقاء لي معها
أزعجني وملأني بالأسى ، فلقد تغيرت كثيرا منذ انفصالنا .
ولم يفسر السيد هيثكليف لماذا غير رأيه ازاء قدمي .
وقال فقط انه تعب من رؤية كاتي ، لذلك يجب أن
أعد الحجرة الصغيرة بالطابق العلوى ، التي كانت تخص
لنتون وأحولها الى حجرة جلوس لي ، واحتفظ بكاتي

معى • وبدأ عليها الفرح لهذا الترتيب ، وعلى فترات
 حضرت سرا من المزرعة عددا من الكتب وأشياء أخرى •
 كانت كاتى فى البداية راضية الحال ، لكنها
 أصبحت بعد فترة وجيزة قلقة ، لا يرضيها شيء •
 وكنت مضطرة لتركها فى كثير من الأوقات ، فهمى
 محظور عليها تجاوز الحديقة ، وعلى أن أشرف على المنزل ،
 فكانت تشكو من الوحدة • وكانت تفضل الشجار مع
 يوسف فى المطبخ عن الجلوس وحيدة فى سلام • لم أكن
 أهتم بذلك ، لكن هيرتون كان موجودا فى المطبخ أيضا
 أغلب الأوقات • وبالرغم من أنها كانت فى البداية
 أما أن تنصرف عند قدومه أو تشاكرنى فى عمل غير
 ملتفتة له على الإطلاق • إلا أنها غيرت سلوكها بعد
 فترة ، وأصبحت لا تستطيع أن تدعه وحيدا ، وتحدث
 عنه ، وتعلق على كسله وغبائه •• وتبدى استغرابها من
 نمط حياته وكيف يتحملها ، حتى أنها علقت ذات مرة
 قائلة :

— ان هيرتون مثل الكلب ، اليس كذلك يا نيللى ؟
 او مثل الحصان الذى يجر العربى ، يؤدى عمله ، ويأكل

لعامه ، وينام . هل تعلم يا هيرتون ؟ ألا تستطيع أن
تتحدث معي ؟

وتتطلع اليه ، ولكنه لا يفتح فيه ، ولا ينظر اليها
ثانية ..

وقالت مرة أخرى :

- اننى اعرف لماذا لم يحدثنى هيرتون مطلقا وانا
فى المطبخ . انه يخشى أن أسخر منه .. وبدأ ذات مرة
يعلم نفسه القراءة ولاننى سخرت منه قام بإحراق كتبه
وتوقفت عن التعلم . أليس بأحمق ؟

وقلت لها :

- ألم تكونى شقية ؟ أجيبينى !

فأ قالت :

- ربما كنت . لكنى لم أتوقعه بهذا الغباء ..
هيرتون .. هيرتون ، اذا أعطيتك كتابا هل تأخذ
الآن ؟

ووضعت كتابا في يده فما كان منه الا ان القاه بعيدا وعددها ، فقللت !

- حسن ، سأضع الكتاب في درج المكتب ،
وسأذهب لأتمام .

وهمسست لى بان أراقبه اذا كان سيأخذه عنده
ذهابها . ولم يقترب منه . . كنت لاحظ أسفها ازاء
جفائه المستمر وكان ضميرها يؤنبها لاختلافه من تحسين
مستواه .

وحاولت بكل جهدها علاج ما تسببت فيه من
ايناء . . وبينما كنت أقوم بعمل فى المطبخ كانت كثيرا
ما تحضر بعض الكتب المسلية وتقرأها بصوت عال . .
وعند وجود هيرتون كانت تتوقف عن المناقشة وتترك
الكتاب مفتوحا . . وكررت ذلك عدة مرات ، لكنه كان
مصرا على المقاومة ، واعتاد فى العطس الرطب ان يدخن
مع يوسف ، أما فى الأيام الصحوه فكان يذهب
للصيد . . وفى تلك الاثناء كانت كاتى تنهد ، وتشكو
وتطلب منى أن أتحدث معها ، وتقول بان حياتها عديمة
الجدوى . .

الفصل التاسع والأربعون

وأصبحا في النهاية صديقين

أما السيد هيثكليف الذي أخذ يميل إلى حياة العزلة ، قد منع هيرتون تقريبا من دخول حجرته . وبسبب حادث وقع له في بداية شهر مارس اضطر الشاب إلى البقاء في البيت ، وفي المطبخ بالذات لعدة أيام . لقد انفجرت بندقيته أثناء وجوده في التلال ، فأصيب في ذراعه ونزف كمية كبيرة من الدم . فتناسب ذلك كآتي ، ليكون بجوار المدفأة معها . . . وازدادت كراهيتها لحجرتها بالطابق العلوى .

وفي يوم الاثنين الموافق لعيد الفصح ، ذهب

يوسف الى صديق جيمرتون مع بعض الماشية ، وفي
بعد الظهر كنت مشغولة في كى بعض الملابس بالمطبخ .
وجلس هيرتون صامتا كمادته في ركن المدخنة وكانت
كأنى ترسم بعض الصور بجوار النافذة ، وتسلى
نفسها بترديد بعض الاغنيات ، وبعلامات تعجب
هامسة وبمنظرات خاطفة نافذة الصبر في اتجاه هيرتون
الذى يواصل تدخينه . لم اعرها التفاتا لكنى سمعتها
تقول :

- لقد اكتشفت يا هيرتون انى سعيده ، وارغب
ان تكون ابن عمتى حقا ، اذا لم تكن خشنا وعبوسا
نحوى !

ولم يكثر هيرتون لكلامها ، فقالت :

- هيرتون ! هيرتون ! هل تريدنى ؟

فاجابها بحدة :

- اذهبى عنى !

فالتربت منه بعذر ، وانتشلت غليونه وقالت :

— دعنى أخذ هذا الغليون •

وقبل أن يحاول استرداده ، كانت قد كسرت
والقت به . فى النار • فسبها وأخذ غليونا آخر ،
فصرخت به :

— كفى ! استمع الى أولا ، لا يمكننى أن اتحدث
وهذه السحب تهب على وجهى •

فصرخ قائلاً :

— اذن اخرجى ، ودعبنى وحيدا !

— لا • لن أخرج وسأجسلك تهتم بى • فانت
ابن خال • وعندما أنادى عليك يا غبى ، فانا لا أقصد
ازدراك •

— ليس لى شأن بك ، ولا بسخريتك اللعينة
منى ، ولن اطلع اليك ثانية • واذهبى عنى هذه
اللحظة !

فبعلت كاتى تجاء النافذة وهى تجز على شفتها
وتقاوم البكاء . فتدخلت قاللة :

- يجب أن تكونا صديقين أنت وابنة عمك
يا سيد هيرتون ، وخاصة أنها تأسفت عن سلوكهما
السابق . وفى مصلحتك أن تقبلها رفيقة لك .

فصرخ هيرتون :

- رفيقة ؟ انها تكرهنى وتعتقد اننى لا اصلح
لمسح خاؤها !

لأنفجرت كاتى فى البكاء وقالت :

- لست أنا الذى أكرهك ، بل انت الذى
تكرهنى ! انك تكرهنى أكثر من السيد هينكليف .

- هذه ليست الحقيقة . فلقد أثرت غضبه بسبب
دفاعى عنك مئات المرات ، فى الوقت الذى تهزئين بى
وتزدريينى !

فاجابته وهي تمسح بعينها :

— لم اعرف أنك دافعت عني ، ولقد كنت خائفة
وغاضبة من الجميع . اما الآن فاني اشكرك ، وارجو
أن تغفر لي .

واقترعت منه وقدمت يدها لمصافحته لكنه لم
ينظر اليها ولم يأخذ بيدها . لا بد أن كاتي اخذت
هذا الرفض على أنه عدم رغبة في الاستسلام لا على أنه
كراهية ، لانها بعد بقائها مترددة لبرهة انحنت ولثمت
خده بقبلة رقيقة ، واعتقدت الشقية انني لم أرها ،
وانسحبت جالسة على مقعدها بجوار النافذة ، فهزرت
براسي مستنكرة فاحمر وجهها .

وظل هيرتون حريصا على اخفاء وجهه في الظلام
لبرهة ، وعندما نهض كان متحيرا اين يوجه نظره .
وانصرف كاتي آنشد في تغليف كتاب رقيق بورقة
بيضاء ، وربطه بشريط وكتبت عليه : الى السيد
هيرتون ايرنشو ، ثم طلبت مني ان اقدمه اليه
كهدية لثالثه :

- وقول له ، اذا أعجبه ، فسأني لأعلمه كيف يطالعه ، واذا رفض فسأصعد الى الطابق العلوى ولا أزعجه مرة أخرى .

وحملت الرسالة اليه ، واسنمت كاتى رأسها على ذراعها فوق المائدة الى أن سمعت صوت نزع التغليف ، فتسللت وجلست بهدوء بجوار ابن خالها . فارتعد وأحمر وجهه ، وعجزته كل وقاحته ، ولم يجد فى البداية الشجاعة ليحيب على نظرتها المستفسرة ولو بكلمة واحدة . فقالت له :

- قل انك سامحتنى يا هيرتون . قل !

وتتم بشئ لم نسجه .

- قل ، وسنصبح صديقين .

فاجاب :

- ولكنك ستخجلين منى كل يوم من أيام حياتك ولا أستطيع تحمل ذلك .

لثالث وهي تبسم بإسمه كالسكر وتقترب
منه أكثر :

- اذن ، فانت لست صديقي .

ولم اسمع مزيدا من الكلام ، لكننى عندما تطلعت
ثانية رايت وجهين - صعيدين مشرقين منكفئتين على
صفحات الكتاب الهدية .

وهكذا بدأت الصداقة ونمت بسرعة ، برغم وجود
بعض العقبات أحيانا . فهيرتون لم يتمدين برغبته
ولم تكن سيدتى الصغيرة مثالا للصبر . الا أنهم
استطاعا أن يصبحا فى النهاية صديقين ..

الفصل الخمسون

شجرتان او ثلاث

وفى اليوم التالى ، نزلت كاتى قبله وتوجهت الى الحديقة حيث كان هيرتون يقوم ببعض الأعمال الخفيفة . وعندما ناديت عليها لتناول الافطار ، رايتها وهي تحث على تنظيف رقعة كبيرة من الأرض وإزالة بعض شجيرات الفاكهة منها ، وأصبحت مشغولين فى التخطيط لاحصار بعض النباتات من مزرعة تراش كروس .

وانزعجت من التغيير الذى تم فى فترة نصف ساعة . وكانت شجيرات الفاكهة هي كنوز يوسف ، وقامت هي بطرس مختاراتها من الزهور فى وسطها .

فصحت لالة

— آه ! سيري ذلك السيد ، وسنرى انفجارا
جيلا ؟

لأجاب هيرتون متحيرا :

— لقد نسيت أنها تخص يوسف ، ولكنني
ساخبره بأني الذي فعلت ذلك ..

كنا نتناول طعامنا دائما مع السيد هيثكليف .
وكنتم أقوم بعمل الشاي والخدمة على الأكل . وكانت
كأني تجلس عادة بجواري ، ولكنها اليوم تسلمت اقرب
لهيرتون . فقلت لها نصيحتي الهامسة ونحن ندخل
الغرفة :

— لاحظي الا تكثري من الكلام والاهتمام بهيرتون
لان ذلك سيضايق السيد هيثكليف بالتأكيد وسيغضب
منكما .

وبعد دقيقة واحدة اتجهت نحوه ، واخذت ترشق
الزهور في طعامه .

ولم يجرؤ هو على الكلام ، ولكنها استمرت
حتى لم يعد بإمكانه أن يمسك نفسه عن الضحك .
فنظرت معترضة ورئت هي في اتجاه السيد الذي كان
يبدو مشغول الفكر ..

ولكنه في النهاية التفت اليهما ، فقابلت كاتى
نظرتة بنظرتها المعتادة من الخوف المشوب بالازدراء
فقال :

— من حسن الحظ انك لست في متناول يدي .
لماذا تنظران الى هكذا ؟ اخفضا ابصاركما ! لقد ظننت
انى استطعت أن أمنعكما من الضحك .

فاجاب هيرتون :

— أنا السبب في الضحك !

فنظر إليه هيثكليف لبرهة ، ثم عاد الى تناول
افطاره في سكون . وانتهينا تقريبا من طعامنا عندما
ظهر يوسف بالباب ، باديا بكل وضوح على شفثيه
المرتعشتين وعينييه الفاضبتين أنه اكتشف الهجوم الذي

حدث على شجيراتهِ الثمينَةِ • وكان من الصعب فهم
حديثهِ • واستمع هينكليف لشكواه حتى نفذ صبرهِ ،
فاستلهم أخيراً :

– هل هذا الاحمق سكران ؟ هيرتون ، هل أنت
الذي أخطأت في حقهِ ؟

فاجاب الشاب :

– لقد نزعنت شجيرتين أو ثلاثاً •

– ولماذا نزعنتهم ؟

فاجابت كاتى :

– اردنا ان نزرع بعض الازهار هناك • وانا من
استحق اللوم •

– وانت • من سمح لك بذلك ؟ وانت يا هيرتون
من امرك ان تطيعها ؟

فسكت الشاب واجابته كاتى :

– كان لا يجب عليك أن تهتم لاستخدامى بضعة

أمتار من الأرض لتجميلها ، بينما استوليت أنت على
أرضي كلها ٠٠ !

- أرضك ! لم يكن لك أرض مطلقا !

- وأموالي !

- اسكني ! انهي طعامك واذهبي !

فاضالت قائلة :

- وأرض هيرتون وأمواله . نحن صديقين الآن ،
وساخبره بكل ما فعلته !

وبدا على هيثكليف عدم القدرة على الرد لفترة ،
وشحبه لونه فاطرا الى كاتى بتعبير كراهية قاتل ،
ثم وقف بشكل ملجأ . فقالت له :

- اذا ضربتني ، فسيضربك هيرتون ، لذلك فمن
الأفضل أن تجلس !

فحاول هيرتون هامسا أن يحثها على الذهاب ،
لكنها اضالت قائلة :

- لن يطيعك بعد ذلك ، أيها الشرير ، وسيكرهك
قدر ما أكرهك !

فتهم الشاب :

- اسكتي ! لا أريد أن أسمك تحدثينه هكذا !

- لكنك لن تسمح له بأن يضربني !

فهسى لها قائلا :

- تعالى .. تعالى ..

لكن هيثكليف كان أمسك بها ووضع يده في
شعرها ، وحاول هيرتون أن يخلصها منه متوسلا إليه
ألا يؤذيها هذه المرة . وبرقت عينا هيثكليف وبدا
أنه على وشك تمزيقها أربا .. واندفعت لانقاذها
عندما تراجعت أصابعه من على خصلات شعرها فجأة ،
ثم سحب يده ووضعها فوق عينيه ووقف للحظة
ليتحكم في نفسه والتفت الى كاتي وقال كالظلمة ليظنه :

- أرجو أن تتجنبى اتارتى ، والا سوف أقتلك

في إحدى المرات ! اذهبي الى نيللي ، وابقى معها . أما

هيتون ارئشو ، لو راينه ينصاع لك فساجله بلا
ماوى . ان حبك سيجمعه منسولا ! اتركونى كلکم !

فاخذت کاتى وخرجنا ، وكانت مسرورة لمقاومتها
له . وعند الغداء ، نصحتها ان تتناول طعامها فى
الطابق العلوى ، ولكنه عندما رأى مقعدها خاليا أرسلنى
لأنادى عليها . ولم يتكلم مع أحد منا . ولم ياكل الا
القليل ثم خرج قائلا بأنه لن يعود قبل المساء .

العلل العادى والخصون

نهاية هزيلة لكفاحى

وإثناء غياب هيثكليف طول اليسوم ، بقى الصديقان الجديدان فى المنزل . وسمعت هيرتون يكلم كاتى بحزم عند سردها قصة تصرف هيثكليف تجاه أبيه ، وأكد لها بأنه لن يسمح لسامع كلمة واحدة تقال فى حق هيثكليف . ومهما كان تصرف هيثكليف فسبقى بجانبه . فأحست كاتى بالحرج خصوصاً عندما سألتها هل تحبه . إن يتحدث بسوء عن أبيها .. عندئذ فهتت الصلة الوثيقة التى تربط بين هيرتون وسيد مرتفعات وذرنيج . صلة أقوى من أن يحطمها

العقل . . اذ كونتها العادة ، ومن القسوة محاولة
فصامها .

ومنذ ذلك الحين ، ابقت روحا طيبة ، وامتنعت
عن التعرض لهينكليف سواء بالشكوى أو بتعابير
الكراهية ، واعترفت لى عن أسفها لمحاولتها إثارة
الكراهية بينه وبين هيرتون .

وعندما زالت هذه الغمة ، عاد الصديقان الى
انشغالهما كتلميذ ومعلمة . وكنت اشعر بالراحة
عندما اجلس متهما ، وراقبهما حتى اننى كنت لا
اشعر بمرور الوقت . وأحس انهما قطعة منى . كنت
فخورة بأحدهما لمدة طويلة والآن ، فانى على يقين بان
الأخر يستحق هذا الاحساس على قدم المساواة .

وبسرعة ازال امانته ، وطبيعته الذكية الدافئة
غشاوة الجهل والانحطاط الذى نشأ وجبل عليهما ،
وازاد من تقدمه المضطرب اخلاص كاتى وتشجيعها له .
لقد تغير تماما ، واصبحت تصرفاته على درجة كبيرة
من النبل ، واكاد لا أصدق أنه هو نفس الشخص

الذى رايته يوم اكتشافى وجود كاتى بمرتفعات
وذرينج بعد ذهابها بجوارها الى الصخور .

وبعد مغيب الشمس عاد السيد هيثكليف
ودخل علينا من الباب الامامى دون أن نتوقعه وقبل أن
نرفع رؤوسنا نحن الثلاثة . كان منظرنا كله سلام
وبهجة ، فاحسست بالامس لو انقلب هذا الجو الى
توبيخ يوجه لنا . وانعكس ضوء المدفأة الاحمر بلطف
على راسيهما وابان عن شخب الأطفال على وجهيهما .
فبالرغم من انه فى الثالثة والعشرين وهى فى الثامنة
عشر ، الا أن كلا منهما لديه الكثير مما يتعلمه ويشعر
به ، لذلك كانا كطفلين يحبوان فى المعرفة معا .

ورفعا راسيهما معا ، لبدا تشابه عيونهما وهى
نفس عيون كاترين ايرنشو . ولا يوجد تشابه آخر
فى كاتى الحالية الا جبينها المريض . اما هيرتون فكان
التشابه واضحا فى ملامح وجهه اكثر واكثر . ربما
لان عقله كان نشيطا فوق المادة . واطن أن هذا

النشابة أثار هينكليف الذى اتجه نحو المدفأة متكدرا بشكل ملحوظ . ثم نظر الى الشابة وأخذ الكتاب من يده . وألقى بنظرة سريعة على الصفحة ثم أعاده اليه دون ابداء ايه ملاحظة . وأشار الى كاسى بالخروج ، فتبعها هيرتون على الفور . وسمعت بالخروج ايضا لكن هينكليف طلب منى البقاء . ثم قال بعد برهة :

- انها نهاية حزيلة ، اليس كذلك ؟ نهاية سخيعة لكفاحي . لقد وجهت كل طاقاتي فى التخطيط لدمير الأسوتين . وعندما أصبح كل شيء جاهزا .. أجسد الارادة فى التنفيذ قد اختفت ! فاعدائى القدامى لم يهزمونى . والآن هذا هو الوقت المناسب للانتقام من ذويهم .. ويمكننى القيام بذلك ، ولا يستطيع أحد أن يمنعنى ! لكن ما هى الفائدة ؟ .. ان هذا ليس كرما منى .. بل لقد فقدت قوة الاستمتاع بتدميرهما .. وانى كسول لأدمر دون مقابل .

نبيل .. ان تغييرا غريبا يبدو لى عن كتب ..
انى أقف فى ظله حاليا .. انى لا أهتم بحياتى اليومية

حتى أكاد لا أذكر الماكل والمشرب • لكن هذين الاثنين
فقط هما اللذان لهما ظهور واضح عندي • وهذا الظهور
يسبب لي الألم •• أما هي ، فلن أتكلّم عنها ، ولا أرغب
في التفكير فيها • فوجودها يكاد أن يسبب لي الجنون
•• أما هو فتأثيره على مختلف •

من خمس دقائق بدا هيرتون كصورة حية لشبابي
انني اكن له مختلف المشاعر • أول كل شيء فان هذا
الشبه الكبير بينه وبين كاترين يربطه معها في عقلي
بشكا ، مخيف • انني لا أستطيع أن أنظر الى الأرض دون
أن أرى وجهها يتشكل على الأحجار ! في كل صحابة
في كل شجرة أراها ! وكثيرا ما تخدعني وجوه رجال
ونساء عاديين أظن انهم يشبهونها •• العالم كله
مجموعة مربعة من التنبّهات في أنها موجودة •• وفي
انني قد فقدتها !

كان ظهور هيرتون هو شبح حبي ، الروح التي
لا تموت للمحاولات الشرسة للتمسك بعقبي ••
لأنحطاطي وكبريائي •• لسعادتي وشغائي ••

لكن ، انه من الجنون ان اقول لك افكارى !

قللت متزعجة لسلوكه :

- وماذا تمنى بالتضيق يا سيد حيثكليف ؟

- سوف اخبرك بذلك ، عندما يحين الوقت ..

لم يكن فى حالة تنذر بفقدان اعصابه ولا فى حالة احتضار . وحسب حكمى ، كان فى منتهى القوة والصحة ، اما بخصوص خياله ، فكان لديه دائما منذ الطفولة متعة فى التخيلات الفرية .. ربما تكون لديه افكار غريبة ثابتة عن موضوع حبه الضائع ، لكنسه فى جميع الموضوعات الأخرى كان عقله حادا وطبيعيا

وسألته :

- هل تشعر بأعراض مرض ما يا سيدى ؟

- كلا يا نيللى .. !

- اذن ، فانت تخاف الموت ؟

- أخاف ؟ كلا ! انا لا أخاف الموت ولا أمل فيه

ولماذا اخشاه ؟ فبقوتى وطريقة حياتى الصحية يجب

ان ابقى على هذه الأرض لأخر شعرة سوداء فى راسى !
ومع ذلك لا استطيع ان استمر على هذه الحالة ! على
ان اذكر نفسى لانتفس ، او ربما اذكر قلبى ليدق ! ان
لدى رغبة واحدة وكيانى كله شغوف لتحقيقها ! .. وأنا
متأكد بانها مستحق .. وقريبا .. لانها أنت على
وجودى . آه يا الهى ! انه لصراع طويل ، أتمنى لو
ينتهى !

واخذ يندرج الحجرة ذهابا وايابا بشكل قلق ،
متمتعا بأشياء مرعبة حتى انى بدأت أؤمن بما قاله
عنه يوسف من أن ضميره قد حول قلبه الى ملاذ ممكن
للعذاب ..

الفصل الثاني والخمسون

التغيير يأتى

وبعد تلك الأمسية اخذ هيثكليف يتجنب لقاءنا على مائدة الطعام لعدة أيام . ومع ذلك لم يكن يوافق أن يتناول هيرتون أو كاتى طعامهما فى مكان آخر . كان لا يحب هذا الاستسلام التام لأحاسيسه ، ويفضل أن يغيب ويتناول طعامه مرة كل اربع وعشرين ساعة .

وذاث ليلة ، بعد أن خلد الجميع للنوم ، سمعته ينزل ويخرج من الباب الامامى . وفى الصباح لم يعد . . . كان ذلك فى شهر ابريل والطقس حلو ودافئ . والعشب اخضر وشجرتا التفاح عند الجدار الجنوبى مزدهرتين تماما . وأصرت كاتى على أن اخضر

كرسيا واقوم بعمل فى الخارج ، كما حثت هيرتون على أن يحضر ويرتب حديقته الصغيرة التى نقلها الى هذا الركن لارضاء يوسف . واستمتعت بالسماء الزرقاء ، وبالشمس الدافئة ، عندما عادت سيدتى الصغيرة من جانب البوابة ، حيث كانت تحضر جذور ازهار لوضعها كفاصل واخبرتنا بان السيد هيثكليف قادم . وقالت متعجزة :

- وكلمنى . لقد طلب منى ان ابعد .. لكنه يبدو مختلفا تماما حتى اننى حلفت فيه طويلا .

فسال هيرتون :

- كيف ؟

- مشرق ومبتهج .. لا ، بل أكثر من ذلك ! وقف هيثكليف عند الباب المفتوح . فبدأ شاحبا مرتعد الأوصال ، لكن عينيه تشعان فرحا غريبا ، فسأله :

- هل ترغب فى تناول الافطار ، لا بد أنك جائع .

فاجاب بنوع من الازدراء :

- كلا ، اننى لست جائعا !

- لا اعتقد أنه من الصواب التجول خارج البيت أثناء الليل ، خاصة فى هذا الفصل الرطب . سيسبب لك نزلة برد سيئة .

- لا شيء . لا أستطيع تحمله .

ولاحظت أنه يتنفس تنفسا سرما كالقط .

وفى منتصف النهار ، جلس صنا على الفناء ، وملأت له صحننا ، وقدمته له . أخذ السكين والشوكة وهم بالاكل ، ولكنه ما لبث أن اعادهما فجأة الى المائدة ، وراح ينظر بلهفة نحو النافذة ، ثم نهض وخرج ، ورايناه يسير فى الحديقة ، فقال هيرتون أنه سيذهب ويسأله عن سبب عزوفه عن تناول الفناء .
وعندما عاد سأله كاتى :

- ماذا ؟ هل سيأتى ؟

- كلا ، لكنه ليس جائعا ، وطلب منى أن أعود اليك ، وكيف أرضى عنك بديلا ؟

فرضمت صحته بجانب المدفأة ليحتفظ بدفئه .
وبعد ساعتين تقريبا عاد هيثكليف بنفس الفرح غير
الطبيعي المرسوم على وجهه الأسمر ، وتظهر أسنانه
من لحظة لأخرى كاشفة عن شبه ابتسامة ، وكان جسمه
يرتعش ، ليس كمن يرتعش من البرد أو الضعف ،
ولكن كارتعاشة الوتر عند لمسه ، فقلت له :

- هل سمعت أخبارا سارة ، ياسيد هيثكليف ؟
انك تبدو منفعا بشكل غير عادي .

- ومن أين تأتي الأخبار السارة ؟ وعلى فكرة
يانيلي دعيني أتوسل اليك أن تحذري هيرتون
والأخرى أن يبتعدا عني . أريد هذا المكان لاختل فيه .
- اخبرني أولا ، لماذا تبدو غريبا هكذا ، ياسيد
هيثكليف ؟

- سأخبرك .. في الليلة الماضية كنت على
شفا العذاب ، واليوم فانا على مقربة من سمائي . لقد
وقعت عيناي عليها .. ثلاثة أقدام فقط تفصلني
عنها ! والافضل أن تذهبي من هنا الآن .

وأخذت غداها الذي لم يلمسه ، وأنا أكثر حيرة
 عن قبل . ولم يفادر المنزل ثانية ، وفي الساعة الثامنة
 حملت شمعة وطعام المشاء له . فوجدته مستنذا على
 حافة النافذة المفتوحة . والنار تحولت الى رماد ،
 والحجرة مملوءة بالهواء الهادي الرطب ، ولذلك كان
 خرير جدول الماء بقرية جيمرتون تصل الى سمى .
 بدأت أغلق النوافذ ، الواحدة تلو الأخرى ، الى أن
 وصلت الى نافذته ، فصالت لألفت انتباهه :

— هل أغلق هذه النافذة ؟

ومضى ضوءه على وجهه عندما تكلمت . يالها من
 صدمة مخيفة التي استولت على ا اذ بدت لي هذه
 العيون السوداء الفائرة وتلك الابتسامة وذلك الشحوب
 الخاص بالموت ا انه ليس بالسيد هيثكليف ، بل روح
 شريرة ، ومن فزعي تركت الشمعة تنطفئ ، وقال
 بصوته المعتاد :

— نعم ، أغلقها . ما هذا الارتباك . . هديني
 من روعك واحضري شمعة أخرى ا

أسرعت خارجة في حالة خوف أحقق ، وطلبت
من يوسف أن يأخذ شمعة اليه . وذهب وعاد في
الحال وطعام العشاء في يده قائلا أن سيده سيأوى
الى الفراش ، ولن يأكل حتى الصباح .

وسمناه يتوجه الى الطابق العلوى . ولم يدخل
الى حجرته العادية ، بل توجه الى الحجرة التى تحتوى
على الفراش ذى الخزانة الخشبية ، حيث اعتادت
كاترين إيرنشو ان تنام . كانت ليلة مزعجة بالنسبة
لى . أخذت استميد ، فى عقل ، الحياة والطبيعة
الغريبة لهينكليف ، متذكرا كيف تكفلت برعايته
طفلا ، وراقبته وهو ينمو ويكبر ، وقلت لنفسي :

- ولكن من أين جاء ، هذا الشيء الأسمر
الصغير ، الذى عاش بحماية رجل طيب ليسبب دمار
عائلته ؟

وبدأت أتخيل ، وانا شبه نائمة ، والديه ...

الفصل الثالث والخمسون

لقد وصلت تقريبا الى سمائي

وفي الصباح التالي ، جهزت طعام الاقطار كعادتي ، وحيث ان كاتي وهيرتون فضلا تناول افطارهما في الخارج ، لذا جهزت طعاما بسيطا لهما . وعند دخولي ثانية وجدت السيد هيثكليف بالطابق السفلي . كان يتحدث مع يوسف بخصوص بعض أعمال الفلاحة ، فاعطى له توجيهات واضحة مضبوطة تخص الموضوع الذي يناقشه معه ، ولكنه كان يتحدث بسرعة ، ويلتفت برأسه جانبا باستمرار ، وعلى وجهه نفس التعبير الثائر .

وعندما غادر يوسف الحجرة ، جلس على مقعده .

المتاد ، فقدمت له القهوة ، ووضعتها امامه ، فقربها اليه ثم استند بذراعيه على المائدة وراح ينظر الى الجدار المقابل ، ومثبتا عينيه المحمومتين على مكان محدد باهتمام وشغف لدرجة انه توقف عن التنفس لبرهة .
فصرخت به وانا ادفع بالحيز ليلامس يده :

- هيا ، كل واشرب الآن وهو ساخن .
فلم يلاحظني ، ولكنه ابتسم ، فصرخت ثانية :
- سيد هينكليف ! سيدي ! لا تفصل هكذا ،
اتوصل اليك ، لا تحلق وكأنك ترى شيئا !

فاجاب :

- لا ، اتوصل اليك لا تصرخى عاليا . التفتي ،
واخبريني ، هل نحن وحدنا ؟
- طبعاً .

وبحركة من يده ، ازاح الطعام من امامه ، وعال
للأمام ليحلق وهو على راحته ورايته لا ينظر الى
الحائط ، كان يبدو انه يثبت عينيه على شيء ما ضمن

مسافة متر أو مترين . ومهما كان هذا الشيء ، فكان
هناك اتصال بينهما يبعث البهجة والالم باقصى
حديهما ، على الأقل كان التعبير على وجهه يوحى بذلك .
ولم يكن هذا الشيء ثابتا أيضا ، فعيناه تتبعانه في
مراقبة لا تمل ، وحتى وهو يتحدث معي لم تبرح عيناه
هذا الشيء وذكرته بطعامه ، ولكن دون جشوى !

جلست ، نموذجاً للصبر ، محاولة أن الفت
انتباهه ، حتى تضايق ونهض خارجا . وغادر المنزل ،
مارا ببطء عبر ممر الحديقة واختفى فيما وراء البوابة .

وزحفت الساعات ، وجاء ليل آخر ، ولم اذهب
لنوم الا في ساعة متأخرة ، وعندما ذهبت لم استطع
النوم . وعاد هينكليف بعد منتصف الليل . واغلق
على نفسه باب حجرة الجلوس . واخذت انصت ، وبعد
فترة ارتديت ملابسى ونزلت للطابق السفلى .

استطعت سماع خطوات هينكليف القلقة وهو
يقطع الحجرة ذهابا وايابا . وكثيرا ما كان يكسر
السكون أنيه وتمتته بكلمات قليلة أيضا . وكانت

الكلمة الوحيدة التي استطعت التقاطها هي اسم
كاثرين مرتبطا ببعض كلمات الجب أو المعاناة وكان
ينطقها ، وكأنه يتحدث لشخص حاضر !

لم تكن عندي الشجاعة لأدخل عليه ، لذلك قمت
بمسل ضجة وأنا أحرك نار مدفأة المطبخ . ففتح الباب
في الحال ، وقال :

- نبلي ، تعال هنا . هل ظهر نور الصباح ؟!

فاجبت :

- لقد دقت الرابعة صباحا ..

- تعال واشعل لي نارا !

واخذ يتجول جيئة ورواحا متنفسا بسرعة ،

وقال :

- عندما يظهر النهار ، سأستدعي جرين المحامي،
أريد ان استفسر منه عن بعض الشئون القانونية وأنا
مازلت أتصرف بهدوء . اني لم أحرر وصيتي بعد ،

ولا أعرف كيف أترك ممتلكاتي . آه لو كان بإمكانى
تدميرها من على سطح الأرض !

فككت :

- لو كنت مكانك ، ما تكلمت هكذا . أترك
موضوع وصيتك لبعض الوقت . فسوف تعيش
لتأسف على كثير من أعمالك الظالمة ! انك فى حالة
عصبية ، والطريقة التى عشت بها هذه الأيام الثلاثة
الماضية تذهب بقوة أى انسان . تناول شيئا من
الطعام وخذ قسطا من الراحة .

- أيمكنك ان تحس انسان يصارع الماء ان يرتاح
وهو على بعد متر واحد من الشاطئ ؟ لابد ان أصل
الشاطئ أولا وعندئذ سارتاح . حسنا ، انسى موضوع
السيد جرين . أما بخصوص أفعالى الظالمة ، فانا لم
أظلم أحدا ، ولا أسف على شيء . فانا سعيد جدا ،
ومع ذلك فلست سعيدا بما فيه الكفاية . . فسعادة
روحي تقتل جسدى ، ولكنها لا ترضى نفسها !

- اسمعيد انت حقا يا سيدى ؟ لو أنك تستمع
الى فون أن تطلب ، لاسديت لك النصيحة !
- اسديها الى !

- يجب أن تعلم يا سيد هينكليف ، انك منذ أن
كنت فى الثالثة عشرة من عمرك وانت تحيا حياة
المالية غير متدبنة . هل من الضرر حاليا أن تبعت
للقس ليرشدك ويساعدك على تصفية قلبك ؟

- اننى ممتن لك يا نيل لانك ذكرتينى بالطريقة
التي أرغب أن أدفن بها . شيعونى الى مقابر الكنيسة فى
المساء على أن أرقد بجانبها . وأطلب منك أنت وهيرتون
أن تتابعنا جثتى ، وتناكفا من أن حفار القبور قد أطاع
تعليماتى بخصوص التابوتين ! ولا حاجة لحضور
القس ولا الى ترتيل الصلاة على قبرى . فلقد وصلت
تقريبا الى سماي . وعندئذ سمع بقية أهل البيت
يستيقظون ، فنهض وذهب الى حجرته .

الفصل الرابع والخمسون

نهاية هيثكليف

وبعد الظهر ، حضر هيثكليف الى المطبخ ، بينما كان يوسف وهيرتون يقومان بعملهما ، وبمنظرة متوحشة طلب مني أن اجلس معه ، حيث يريد من يرأفقه ، فرفضت قائلة له بكل صراحة بأنني أصبحت أخاف من كلامه وتصرفاته الغريبة . فقال :

— اعتقد انك تظنينني من الأرواح الشريرة ، شيئا مفزعاً ليعيش في بيت محترم .

ثم التفت نحو كاتى والحاصل متفهما :

— تعالى يا فتاة ، فلن أؤذيك . لقد جعلتك

تكرهينى . حسنا ، هناك واحدة لن تتراجع عن مرافقتى ! آه .. يا الهى .. انها بلا رحمة ، انها فوق طاقة البشر حتى تتحملنى أنا !

ولم يطلب من اى احد آخر أن يبقى معه . وعند الغروب ذهب الى حجرته ، وسمعناه طوال الليل وهو يشن ويتمتم لنفسه . وكان هيرتون قلقا عليه ، وطلبت منه أن يستدعى الطبيب . وعندما عاد ، رفض هيثكليف أن يفتح الباب ، وقال انه افضل ، ويريد أن نتركه وحيدا ، لذلك غادر الدكتور كنيث البيت دون أن يرى المريض ..

كانت الليلة التالية ممطرة ، وبينما كنت أقوم بجولتى الصباحية حول المنزل لاحظت نافذة حجرته مفتوحة والمطر ينهمر بشدة داخلها . فظننت أنه مستيقظ ، اذ لا يمكن أن يكون فى فراشه بينما المطر ينزل عليه بهذه الشدة . فقررت أن ادخل وأنظر .

ونجحت فى الدخول بفتح آخر ، فوجدت السيد هيثكليف مستلقيا على ظهره ، والتفت عيناه

بعينى فى ثبات وحدة ، فشعرت بالخوف ، ثم تخيلته
يبتسم . لم افكر مطلقا فى انه قد فارق الحياة ،
لكن المطر غسل وجهه وحلقه ، والفراش كان مبتلا
تماما . ووضعت أصابعى على إحدى يديه ، ولم
أعد أشك .

وصرخت على يوسف ، الذى جاء وركع على
ركبتيه ، وأعاد الشكر بأن السيد القانونى والعائلة
القديمة ستمود ملكيتهم لحقوقهم مرة أخرى .

وشعرت بالاضطراب والانزعاج لهذا الحدث
المفزع ، وعادت ذاكرتى الى الأيام الخوالى بنوع من
حزن لا يَحتمل ، أما هيرتون المسكين ، أكثر شخص
أخطأ فى حقّه ، فكان الشخص الوحيد الصادق فى
معاناته ، فقد جلس ، طول الليل ، قرب هيثكليف
وداح يقبل وجهه القاسى الهازى الذى يتجنب الجميع
النظر اليه ، وعانى حزنا قويا نابعا بشكل طبيعى من
قلب كريم .

وتحير الطبيب فى تسمية المرض الذى مات السيد

بسببه .. ودفناه ، حسب وصيته . وقام هيرتون
الذى تغطى وجهه بسيل من الدموع بوضع الفطاء
الأخير من التربة المزروعة بالحشائش فوق المقبرة .
أملأ أن ينام ساكنه نوما هنيئا .

أما القرويون اذا سألتهم ، فسيقسمون بأنه
يسير .. ومنهم من يقول بأنهم قابلوه قرب الكنيسة ،
وفى منطقة المستنقعات ، بل وحتى داخل هذا المنزل ..
قصص حقا .. ربما !!

ومع ذلك فيوصف يعلن أنه رأى الاثنين -
هينكليف وكاترين - وهما يطلان من غرفة النوم فى
كل ليلة ممطرة منذ وفاته . وحدث لى شيء غريب منذ
شهر تقريبا .. كنت متوجهة الى المزرعة ، ذات مساء
راعد حالك السواد ، وعند انعطافى من المرتفعات ،
قابلت ولدا صغيرا مع اغنامه الثلاث ، وكان يسكن
بشدة ، فسألته :

- ماذا بك يا فتى ؟

فقال باهيا :

- هيثكليف وامرأة أخرى موجودان هناك ،
اننى لم أجرو على المرور !

ولم ار شيئا ، لكن رفضت الاغنام ، وكذلك الفتى
المرور من هناك ، لذلك اشرت اليه بأن يتخذ الطريق
السفل . ربما تخيل اشباحا أثناء عبوره المستنقعات
بمفرده ، وذلك من جراء حديث أبويه وما يردده رفاقه
.. ومع ذلك ، فلقد أصبحت أخشى الخروج فى الظلام ،
كنا أصبحت لا أحب البقاء وحدى فى هذا البيت ..
وساكون سعيدة عندما يتركونه للمودة للمزرعة ..

النهاية

وداعا لمرتفعات وذرينج

الكلمات الأخيرة للسيد لوكودود .

الفصل الخامس والخمسون

الموتى فى سلام

وسكتت السيدة دين عن الكلام بعدما روت قصتها ،
فسالتها :

– ومتى سيعودون للمزرعة ، اذن ؟

– عندما يتم الزواج ، وسيكون ذلك فى عيد
رأس السنة .

– ومن سيسكن هذا البيت ؟

– سيبقى يوسف مع شخص آخر ، وسيعيشان
فى المطبخ . أما بقية المنزل فسيغلق .

فقلت معلما :

— لكى تستخدمه الأشباح كسكنى لهم .

فقالت نيللى وهى تهز براسها :

— كلا ، يا سيد لوكوود ، اعتقد أن الموتى
يرقدون فى سلام .

وفى هذه اللحظة ، فتحت بوابة الحديقة وظهر
من كانا يتجولان عائدتين . فقلت :

— انهما لا يخشيان شيئا !

وعندما خطا الى الباب وتوقفا ليلقيا نظرة أخيرة
على القمر ، أو بالأحرى على بعضهما البعض فى ضوء
القمر ، شعرت برغبة فى تجنبهما .. فأسرعت مودعا
السيدة دين ، وعبرت من المطبخ وانصرفت ..

وفى طريقى للعودة انعطفت فى اتجاه مقابر
الكنيسة ، فاكتشفت فور تطلعى الأحجار الثلاثة على
قمة المقابر عند المنحدر التالى بمنطقة المستنقعات :

كان القبر الأوسط رمادى اللون تغطى معظمه بالنباتات البرية ، وكان قبر ادجار لنتون مغطى بالعشب فقط ، أما قبر هينكليف فما يزال أجرد .

وبقيت بجوارهم ، تحت السماء اللطيفة ، وراقبت الحشرات تهيم بين النباتات والزهور البرية . وأنصت الى النسيم الرقيق متنفسا عبر الأعشاب . وتعجبت كيف يتخيل أى شخص عدم الراحة للنائمين تحت هذا التراب الهادئ .

رقم الإيداع ٩٧ / ٧٧٦٥
I. S. B. N. 977 - 01 5263 - 3